مُقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

إنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

نحمد الله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، ينفون عن الدين تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويبصِّرون بطريق الهداية أهلَ العمى، أما بعد :

فإن المدرسة السلفية هي دعوة الإسلام كما أُنزل على رسول الله ﷺ، وفهمها الصحابة رضي الله عنهم، وسار عليها التابعون رحمهم الله أجمعين، الذين يمثلون الطائفة المنصورة

أهل السنة والجماعة، وقد اشتُهرت هذه المدرسة بمدرسة أهل الحديث والسنّة، لتعظيمهم حديث رسول الله ﷺ، واجتماعهم على السنّة في زمن خروج الفِرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة**».(١) ولمّا سئل ﷺ عن الفرقة الناجية قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**».(٢)

وصدق رسول الله ﷺ، فقد افترقت الأمة ـ بمناهجها ـ بعد نبيها ﷺ وجيل الصحابة والتابعين، فظهر الخوارج الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، وخرجوا على عليّ رضي الله عنه فكفّروه وكفّروا الصحابة رضي الله عنهم.

وقابل هؤلاء فرقة أخرجوا العمل عن مسمّى الإيمان وجعلوا إيمان الزاني وشارب الخمر مرتكب الكبائر كإيمان الصائم القائم الذي لا يفتر عن العبادة، وهم المرجئة.

ومنها: فرق خاضوا في صفات الله ﷻ على جري العقول، وقاسوا الله بعقولهم، وأبَوا أن يقتصروا في معرفة الإله على ما وصف به نفسه في كتابه الكريم، ووصفه به رسوله ﷺ في سنته الشريفة.

ومنها: فرق ابتدعت طرقاً في العبادة والذكر، كالرقص، وضرب الدف والطبل مع ما يسمّى ـ بالنوبة ـ وضرب الشيش الذي يعتبرونه من الكرامات، فضلاً عن اعتقادهم في بعض مشايخهم أنهم يعلمون الغيب، وينفعون ويضرون، فيستعينون ويستغيثون بهم وإن كانوا أمواتاً.

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن أبي داود.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي.

كما ظهرت فرق أخرى يطول الحديث بذكرها، الأمر الذي شوَّه جمال الإسلام، وأظهره على أنه دين طقوس وخرافة.

أسباب الافتراق:

وتعود أسباب الافتراق في الجملة إلى الجهل، واتباع الهوى، واتباع المتشابه من النصوص، والخوض في علم الكلام المذموم الذي عابه السلف ونهوا عن الاشتغال به، والعمل بالأحاديث الضعيفة والروايات المكذوبة على رسول الله ﷺ.

الواجب إزاء هذا الافتراق:

إزاء هذا الافتراق المخيف، كان من الواجب التمسك بنصوص الكتاب والسنّة، والرجوع إلى منهج السلف الصالح المنقول في كتب السنن والآثار والعقائد المروية بالسند المتصل إلى السلف الصالح، وتصفية العلوم الإسلامية من المناهج الدخيلة، ونبذ التقليد الأعمى الذي تسبَّب بإغلاق باب الاجتهاد، وتقديم فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين للنصوص القرآنية والنبوية، لأنهم أعلم الناس بمضمون الرسالة ومدلولات النصوص.

وصف العلماء والدعاة إلى هذا المنهج:

ولما قامت طائفة من العلماء والدعاة، للدعوة إلى نبذ التفرق في المناهج، وترك الابتداع في الدين، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح، وُصف هؤلاء العلماء بأنهم سلفيّون.

ولما التبست هذه التسمية أو النسبة إلى السلف، ـ بل المنهج السلفي ـ على كثير من الناس، فظنوه حزباً جديداً، أو مذهباً وليداً، كان من الواجب بيان المراد بالمنهج السلفي، والتعريف به، وذلك من خلال التعريف بالمصطلحات العلمية والألقاب المنهجية، مع بيان منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة.

ولا أبالغ إذا قلت: إن الموضوع يحتاج في تجليته وإيضاحه على وجه الكمال والتمام إلى صفحات لا يتسع لها هذا البحث، لذلك آثرت الاختصار قدر الإمكان، والله المسؤول أن ينفع به فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

*****

الفَصْل الأوَّل

التعريف بالاسم والمصطلحات العلمية

المبحث الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني : ألقاب ذات صلة (أهل الحديث ـ أهل السنة).

المبحث الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: التعريف اللغوي: السلفية في اللغة مشتقة من كلمة سلف، ومعنى سلف في اللغة، الشيء إذا مضى.

قال في القاموس المحيط: «والشيء سَلَفاً ـ محرَّكة ـ: مضى، وفلان سلفاً وسلوفاً: تقدم، والسَّلَف محرّكة: السلم، اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردُّه كما أخذه، وكل عملٍ صالحٍ قدمته، أو فرطٍ فرط لك، وكل من تقدمك من آبائك وقرابتك.

وبالجمع: سلاّف وأسلاف، ومنه: عبد الرحمن بن عبد الله السلفي المحدِّث، وآخرون منسوبون إلى السلف».[(١)]

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

وفي الاصطلاح الشرعي فإن كلمة السلف يراد بها أصحاب القرون الثلاثة الخيرية ـ غير من رُمي ببدعةٍ ـ التي زكَّاها رسول الله ﷺ بقوله: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».[(٢)] وأصحاب القرون الثلاثة هم: الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، وأتباع التابعين.

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٠٦٠) مؤسسة الرسالة بيروت. وانظر أيضاً: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي (٢٠٣) دار اليمامة الطبعة الأولى.

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٢) في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد. ومسلم (٢٥٣٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم، ثم الذين يلونهم.

١ ـ **تعريف الصحابي**: والصحابي عند المحدثين: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام.[١]

ويدخل في تعريف الصحابة ﷺ عند أهل السنة والجماعة: أهل البيت الذين لقوا النبي ﷺ ـ على التعريف السابق ـ .

وقد اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلاً نفيساً في ذلك فقال: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١٨] وقوله : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] وفي آيات كثيرة يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحدٍ من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله ﷺ فيهم شيء ممّا ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين والإيمان واليقين، القطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافّة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدَّلين

(١) لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح (٢٤) المكتب الإسلامي ـ بيروت.

الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ثم روى بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدّى إلينا ذلك كله الصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».[(١)]

٢ ـ **تعريف التابعي**: والتابعي هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه وروى عنه وإن لم يصحبه، وقد ذهب إلى القول الثاني: أبو عمرو بن الصلاح، والإمام النووي، وغيرهما.[(٢)]

٣ ـ **تعريف أتباع التابعين**: واحدهم تابع التابعين، وهو من لقي التابعين وأخذ عنهم.

فالسلف إذن مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين المذكورين في حديث رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».[(٣)]

على من يطلق لفظ السلف بالمصطلح العلمي المنهجي:

ولما كان السبب الذي أوجب تزكية السلف ومدحهم، منهجُهُم العلمي، وما كانوا عليه من التمسك بالسنّة والاجتماع عليها، صار كل من يتمسك بمنهجهم العلمي

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/ ٩ ـ ١٠).

(٢) انظر: التقريب والتيسير للنووي (٩٤) دار الكتاب العربي ـ بيروت. ولمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح (٦٢).

(٣) سبق تخريجه.

البارز والمنقول إلينا في كتب السنن والآثار والعقائد، يسمّى سلفياً بالمعنى العلمي المنهجي، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم وجمعه بهم نفس المكان والزمان.(١)

حكم الانتساب إلى السلف الصالح:

إن الانتساب إلى السلف الصالح ﷺ، انتساب إلى الطائفة التي جعل الله إجماعهم حجة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلاً خياراً في كل الأمور لتنكير قوله: ﴿ وَسَطًا ﴾، كما رتَّب الله على مخالفتهم صلي جهنَّم بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، وقد دلَّ على حجية قولهم، قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فدلَّ على أن لهم قولاً متبوعاً.

وهذا بخلاف الانتساب إلى الأشخاص، أو العادات، أو الجماعات، أو الأحزاب، فإنه انتساب إلى من يخطئ ويصيب، وليس اتفاقهم حجة، والانتساب إلى من يخطئ خطأ، وإلى من جعل الشارع إجماعهم حجة ليس بخطأ.

بعضُ من أُطلق عليه لقب (سلفي) من أهل العلم:

وقد أُطلق لقب (السلفي) على بعض أهل العلم لالتزامهم بمنهج السلف الصالح، وتمييزهم عن غيرهم ممن خالف منهج السلف أو تلبّس ببدعة، ومن هؤلاء:

١ ـ **الإمام الحافظ محدّث إقليم فارس، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفَسَوي**، قال عنه الحافظ الذهبي: «وما علمت يعقوب الفَسَوي إلاّ سَلَفياً، وقد

(١) انظر: أهل السنة والجماعة (معالم الانطلاقة الكبرى)، جمع محمد عبد الهادي المصري (٥٢) دار طيبة ـ الرياض ١٩٨٨م.

صنَّف كتاباً صغيراً في السنَّة».[١]

٢ ـ **الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المحدّث**، فقد علّق الذهبي على قول الدارقطني ـ ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام ، فقال ـ أي الذهبي ـ: «لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام، ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً».[٢]

٣ ـ **الإمام الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة**، قال عنه الذهبي: «كان يعرف المذهب والعربية والعَروض، سلفياً، أثرياً».[٣]

٤ ـ **الشيخ مجد الدين عيسى ابن الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي**، فقد قال عنه الذهبي: «وكان ثقةً ثبتاً، ذكياً، سلفياً».[٤]

٥ ـ **الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري**، قال عنه الذهبي: «كان ذا جلالةٍ عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة».[٥]

٦ ـ **محمد بن القاسم بن سفيان المصري المالكي الفقيه**، فقد قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «كان رأس المالكية بمصر وأحفظهم للمذهب، مع المتقنين فنَّ التاريخ والأدب مع الدين والورع، وله أحكام القرآن، ومناقب مالك والرواة عنه،

(١) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣/ ١٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧).

(٣) نفس المصدر (٢٠/ ٤٢٦).

(٤) نفس المصدر (٢٣/ ١١٨).

(٥) نفس المصدر (٢٣/ ١٤٢).

والمناسك، والواهي في الفقه، وغير ذلك، وكان سلفي المذهب».[١]

وبالجملة، فإن العلماء والأعلام حفَّاظ السنة والأثر، فقهاء الملة وناصرو السنّة سلفيّون في معتقدهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم كثير.

بل قال الذهبي عند كلامه على الشروط التي يحتاج إليها الحافظ: «فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً، ذكياً، نحوياً لغوياً، زكياً حيياً، سَلَفياً».[٢]

*****

(١) لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني (٥/ ٣٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٠).

المبحث الثاني : ألقاب ذات صلة .

أولاً: مدرسة أهل الحديث: والدعوة السلفية هي المدرسة الإصلاحية التي اشتُهرت بمدرسة أهل الحديث، لأنهم يعظمون حديث رسول ﷺ ويعنون به رواية ودراية، ويبذلون جهدهم في اتباع السنَّة واجتناب البدعة كما قال أبو عثمان الصابوني: «ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين».[(١)]

سبب التسمية بأهل الحديث:

قال الشهرستاني في سبب تسميتهم بأهل الحديث: «وإنما سُمُّوا بأصحاب الحديث، لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث، ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبراً أو أثراً».[(٢)]

أبرز علماء مدرسة أهل الحديث:

لقد آلت زعامة مدرسة أهل الحديث إلى الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد، وسفيان الثوري، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرحمن بن مهدي، والأوزاعي، والليث بن سعد، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو زرعة الرازي، وابن جرير الطبري، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن قتيبة الدينوري.[(٣)]

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (١١٤).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٦).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٦) وعقيدة السلف أصحاب الحديث (١٢١ ـ ١٢٢) والمدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، د. عمر سليمان الأشقر (١٧ ـ ١٨).

أقوال الأئمة في اتباع الحديث ولزوم أهله:

وقد توافرت أقوال الأئمة في اتباع الحديث ولزوم أهله، فقد قال البويطي: سمعت الشافعي يقول: «عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صواباً. وقال: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيراً، حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل».[١]

ومن شعر الإمام الشافعي رحمه الله في هذا المعنى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الـــدين

العلم ما كان فيه قـــال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين[٢]

ومنهم الإمام أحمد رحمه الله، حيث أنشد يقول:

دين النبي محمدٍ آثـــــار نعم المطية للفتى الأخبار

لا تعدُ عن علم الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى سبل الهدى والشمس طالعة لها أنوار[٣]

ومنهم الإمام مالك رحمه الله، حيث سأله رجل عن مسألة، فقال: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل: أرأيت ؟ ـ يريد رأي مالك ـ فقال مالك : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].[٤]

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (١٠/ ٢٥٤).

(٢) نفس المصدر.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية (١/ ٥٥)، قال ابن القيم: أسانيد هذه الآثار في غاية الصحة.

(٤) شرح السنة للإمام البغوي (١/ ٢١٦).

ثانياً: أهل السنة والجماعة:

وكما أطلق على السلف الصالح ومن سار على طريقتهم في العلم والعمل لقب أهل الحديث لتمسكهم بحديث رسول الله ﷺ والعمل به، فقد أُطلق عليهم أيضاً لقب أهل السنة والجماعة، لأنهم تمسّكوا بالسنة واجتمعوا عليها في عصر ظهور الفرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «**ألا إنَّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثِنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**».[١] وفي رواية قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**».[٢]

تعريف لفظ السنة والجماعة:

السنة في اللغة: مشتقة من سنَّ يسنُّ سنّاً فهو مسنون. والسنة: الطريقة والسيرة محمودة كانت أم مذمومة، ومنه قوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع**» الحديث.[٣]

السنّة في الاصطلاح: يختلف تعريف السنة في الاصطلاح عند العلماء بحسب استعمال أهل الاختصاص لها، وسأوجز بيان ذلك بما يلي:

١ ـ **السنة في استعمال المحدثين**: هي كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقِية أو خُلُقِية، أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

٢ ـ **السنة في اصطلاح الأصوليين**: ـ والمراد بالأصوليين: علماء أصول الفقه ـ هي كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ومسلم (٢٦٦٩) في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

شرعي.

٣ ـ **السنة في اصطلاح الفقهاء**: ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض أو الواجب، وهي هنا بمعنى المستحب.[١]

٤ ـ **السنة في اصطلاح علماء العقيدة**: وتطلق السنة في اصطلاح علماء العقيدة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم اعتقاداً ومنهجاً، ويقابل السنة بهذا المعنى: البدعة. وفي الحديث: «**فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعةٍ وكل بدعةٍ ضلالة**».[٢] ومنه قول الزهري رحمه الله: «الاعتصام بالسنة نجاة».[٣]

إضافة السنة إلى لفظ (أهل):

فإذا أضيفت السنة إلى لفظ أهل، فيكون المراد: القوم المنتسبون إلى السنة، المتمسكون بها، المجتمعون عليها، ولذلك أطلق عليهم لقب: أهل السنة والجماعة.

ومنه قول الحسن البصري رحمه الله: «يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس».[٤] وقول سفيان الثوري رحمه الله: «استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء».[٥] ومنه قول أيوب السختياني رحمه الله: «إن من سعادة

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٦) وأبو داود (٤٦٠٧) في كتاب السنة، باب في لزوم السنة. وابن ماجه (٤٢) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

(٣) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٢).

(٤) نفس المصدر (١/ ٦٣).

(٥) نفس المصدر (١/ ٧١).

الحدث[١]، والأعجمي، أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة».[٢]

معنى الجماعة لغة: والجماعة في اللغة: العدد الكثير من الناس.

واصطلاحاً: وردت عدة أقوال في تفسير الجماعة.

القول الأول: السواد الأعظم، وهذا التفسير ورد في بعض الروايات وهي ضعيفة، رواها ابن أبي عاصم في السنَّة[٣]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد.[٤]

القول الثاني: هم جماعة أهل العلم والأثر والحديث،كما قال الإمام أحمد رحمه الله عن الجماعة: «إن لم تكن أهل الحديث فلا أدري من هي».[٥] وقال البخاري رحمه الله: «هم أهل العلم».[٦]

القول الثالث: هم أصحاب رسول الله ﷺ، لقوله ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية، من هم ؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**».[٧]

خلاصة القول في المفهوم الشرعي لمعنى الجماعة: أن لفظ الجماعة يدور حول معانٍ متقاربة، تنتهي إلى أن الجماعة هم: أهل السنة والاتباع، وهم الفرقة الناجية، وهم

---

(١) أي: صغير السن.

(٢) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٦).

(٣) كتاب السنَّة لابن أبي عاصم رقم (٨٠) وضعفه الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) شرح أصول الاعتقاد (١/ ١١٥) وفي سنده أبو غالب وهو ضعيف، وداود بن أبي سُبلَيك. قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول.

(٥) الرسالة المستطرفة (١٦٥).

(٦) ذكره البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم.

(٧) سبق تخريجه.

الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى والعلم والفقه، ومن اقتدى بهم واتبع سبيلهم من المؤمنين إلى قيام الساعة.[١]

سبب التسمية بأهل السنة: وسبب التسمية بأهل السنة ظهور البدع والأهواء، فميّز علماء السنة أهل السنة عن أهل البدعة والأهواء.

تاريخ ظهور التسمية بأهل السنة: وقد برز مصطلح أهل السنة في مطلع القرن الثاني عند ظهور البدع والأهواء. قال ابن سيرين رحمه الله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».[٢]

مستند هذه التسمية: ومستند هذه التسمية، أمر النبي ﷺ بالتمسك بالسنة، ولزوم الجماعة عند الافتراق، وذلك في قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي**».[٣] وقوله: «**عليكم بالجماعة**».[٤]

(١) للأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل حفظه الله، رسالة ماتعة في مفهوم أهل السنة الجماعة موسومة باسم: (مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة)، مطبوعة بدار الوطن ـ الرياض ـ.

(٢) رواه مسلم في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الفَصْلُ الثَّانِي

المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة

(في العقيدة).

تعريف العقيدة:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من مادة عَقَدَ، يقال في لغة العرب: عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: إذا شدَّه. (١)

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. (٢)

والعقيدة الإسلامية اصطلاحاً: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين وما أجمع عليه السلف الصالح. (٣)

عقيدة السلف الصالح أصحاب الحديث:

لما كانت الغاية التي خلق الله لها الإنس والجنَّ عبادةَ الله تعالى وحده ونفي الشريك عنه، سمّي هذا الدين دينَ التوحيد. فالتوحيد «أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً، ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه تكفَّر الذنوب وتستوجب الجنة، وينجى من النار». (٤)

اهتمام المدرسة السلفية بالتوحيد:

لذلك فقد اهتم السلف الصالح بقضية التوحيد أكثر من اهتمامهم بأي قضيةٍ أخرى، وعلى هذا كان مدار القرآن المكي حين كان ينزل على رسول الله ﷺ في العهد

---

(١) القاموس المحيط (٣٨٣). ومختار الصحاح (٢٨٨).

(٢) المعجم الوسيط (٦١٤) جماعة من المؤلفين: أحمد الزيات ـ إبراهيم مصطفى ـ حامد عبد القادر ـ محمد علي النجار.

(٣) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري (٢٤) طبع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض.

(٤) حاشية ثلاثة الأصول للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي (٢٣).

الأول للإسلام، يثبت هذه الحقيقة في نفوس الصحابة ﷺ، وينزع من صدورهم كل قضية أو فهم أو اعتقاد يتصل بالشرك.

وهذه هي العقيدة السلفية، إفراد الله بالعبادة، وسد الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك الذي سمّاه الله ظلماً، ولذلك لما نزل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال عبد الله بن مسعود ﷺ: شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه ؟ قال: «**ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه**: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ ».(١)

قال البغوي رحمه الله: «سمّي الشرك ظلماً لأن أصل الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، ومن أشرك فقد وضع الربوبية في غير موضعها، وهو أعظم الظلم».(٢)

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحثِّ على الإنابة إلى الله وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ورهبةً، ـ إلى أن قال ـ ونهى عن أقوال وأفعال يُخشى أن يُتوصل بها إلى الشرك، كل ذلك حمايةً للتوحيد».(٣)

والمدرسة السلفية تعتبر التوحيد الهدف الأسمى الذي أُرسلت لتحقيقه الرسل، وأُنزلت به الكتب، فهو الغاية من الوجود لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا

(١) رواه البخاري (٣٤٢٩) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ ﴾ . ومسلم (١٢٤) في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٨٠).

(٣) القول السديد في مقاصد التوحيد (٧٥ ـ ٧٦) طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهو حق الله على العبيد، لحديث معاذ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟**». قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حقهم عليه ؟**». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن لا يعذبهم**».(١)

ولما كان التوحيد هو الغاية الذي خُلقت له البشرية، وهو حق الله على العباد، كانت الرسل تبعث ابتداءً بالدعوة إليه، ثم الشرائع بعد ذلك مبنيةً عليه، فمن استجاب للتوحيد وتخلَّص من الشرك وشوائبه، عندئذ يخاطب بالتكاليف، وقد أجمع العلماء على أن أول شرط من شرائط وجوب العبادات، الإسلام، والذي لا يكون موحداً لا يكون مسلماً، فالتكاليف الشرعية مع وجود التوحيد تكون مقبولة، وبدون التوحيد مردودة. فعن ابن عباس ﷺ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: «**إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...**» الحديث.(٢)

فأمره أن يدعوهم أولاً إلى التوحيد وتصحيح العقيدة، فإن هم أطاعوا لذلك، عندها أمره بمطالبتهم بتكاليف الإسلام التي لا تقوم ولا تقبل قبل تصحيح العقيدة.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٣) في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم (٣٠) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٢) في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم (١٩) في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

النبي ﷺ يهتم بالتوحيد قبل التجمع وأخذ الولاء:

ويزداد الأمر وضوحاً بمنهج النبي ﷺ واهتمامه بالتوحيد والاعتقاد قبل التجمع وأخذ الولاء، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعةً وتركت هذا، قال: «**إن عليه تميمة**». فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: «**من علَّق تميمةً فقد أشرك**».(١)

التوحيد أول دعوة الرسل:

والتوحيد أول دعوة الرسل، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦] فقال عن نوح عليه السلام: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال عن هود عليه السلام: ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [هود: ٥٠]، وقال عن صالح عليه السلام: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [هود: ٦١]، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [هود: ٨٤]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٥١]، وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ٦٤] وبالجملة، فإن الله تعالى قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٢).

من صور اهتمام الصحابة ﷺ بالتوحيد:

ومن صور اهتمام الصحابة ﷺ بالتوحيد، ما جاء عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجةٍ فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منّا على شيء يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح، قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطاً، قال: ما هذا الخيط ؟ قالت: قلت: خيط أُرقيَ لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِولة شرك**». قالت: فقلت له: لِـمَ تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، وكان إذا رقاها سكنت ؟ قال: إنما كان ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيها كفّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ: «**أذهب البأس رب الناس، اشفِ وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً**».[(١)]

من صور اهتمام أهل بيت رسول الله ﷺ بالتوحيد:

ومن صور اهتمام أهل البيت بالتوحيد ما رواه ابن أبي شيبة[(٢)] عن علي بن الحسين ﷺ: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بُيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن**

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨١). وابن ماجه (٣٥٣٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١).

(٢) في المصنف (٢/ ٢٦٨) دار الفكر ـ بيروت.

صلاتكم تبلغني حيثما كنتم».[١]

التوحيد الذي جاءت به الرسل:

والتوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الله بالعبادة، فلا معبود بحق إلا الله، وعندما نقول إفراده بالعبادة، لا نعني بذلك الصلاة والزكاة والصوم فحسب، بل كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من أقوال وأفعال. فالدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**».[٢] والنذر عبادة لا يجوز صرفه لغير الله لقوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]. والذبح عبادة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]. وفي الحديث: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».[٣]

والاستغاثة عبادة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]. وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]. والاستعانة عبادة

---

(١) ورواه أبو داود (٢١٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**». صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٦٧) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

(٣) رواه مسلم (١٩٧٨) في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله.

لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. ولحديث رسول الله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**».[١] والحلف عبادة لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».[٢]

فكل هذه الأمور وغيرها (من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه، وسائر الأذكار المشروعة، ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والمحبة في الله والبغض فيه، والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة).[٣]

والعبادة إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥] ، وقال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، وهو الاعتقاد أن الله تعالى خالق العباد ورازقهم، محييهم ومميتهم، وهو الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، ويعز ويذل، وهو المتصرف في هذا الكون كيف يشاء سبحانه، لا شريك له في ذلك كله، ومنها الإيمان بأنَّ

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣٠٧) والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٤ و ٨٦) وأبو داود (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) معارج القبول للحافظ الحكمي (١/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

لله وحده حق التشريع، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]. فالتشريع حق للرب جلَّ وعلا، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين والمنهج والطريق والصبغة ما شرعه الرب جلّ جلاله.

توحيد الأسماء والصفات:

هو الاعتقاد بأن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات تليق به، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وأسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز أن نطلق على الله تعالى اسماً لم يسمِّ به نفسه ولم يسمِّه به رسوله ﷺ، كأن يقول القائل: (إن الله هو الصانع) فيجعله اسماً له، أو (هو المهندس الذي هندس هذا الكون) فهذا وأمثاله لا يجوز لأن أسماء الله تعالى كما ذكرنا توقيفية تُستمد من الكتاب والسنة، ولأن الله تعالى أعلم بنفسه، ولأن رسوله ﷺ أعلم به منَّا.

إذن فأسماء الله تعالى توقيفية على ما جاء في الكتاب والسنة، وأسماء الله تعالى كلها حسنى، بالغة في الحسن، وهي غير محصورة بعدد معين لقول رسول الله ﷺ: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».[(١)] وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يطَّلع عليه أحد، وهذا لا ينافي الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**».[(٢)] فالمقصود أن الله تعالى قد أطلعنا على تسعة وتسعين اسماً لندعوه بها ونعبده بها، وليس المراد حصر

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (١/ ٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار. ومسلم (٢٦٧٧) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

الأسماء بهذا العدد.

وأما صفات الله تعالى فهي صفات تليق بجلاله وعظمته، وهي صفات كمال ومدح لا نقص فيها بوجه من الوجوه. وهي صفات عليا، وصف الله بها نفسه في كتابه الكريم، ووصفه بها رسوله ﷺ في سنته الشريفة، ونحن نؤمن بهذه الصفات كما آمن بها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، فنثبت له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننزهه عمَّا نزَّه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ردٌّ على الممثلة والمشبهة. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على النفاة المعطلة.

والأصل في هذا الباب، أنّ كل ما ثبت في الكتاب والسنَّة وجب الإيمان به والتصديق، وإن خالف العقل، لأن العقل مخلوق، والمخلوق محدود، والمحدود ناقص، والناقص لا يدرك حقيقة الخالق الكامل. فكيف بإدراك صفاته ؟

قال نعيم بن حمَّاد رحمه الله: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيهاً».[(١)]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردَّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾».[(٢)]

---

(١) رواه عنه الذهبي في العلو (١٨٤) مختصره للألباني، وسنده صحيح.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/ ٤٠٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٧٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن قال ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى، كان معطلاً جاحداً ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي، وقوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي، أو يدان كيداي، أو استواء كاستوائي، كان مشبّهاً ممثلاً لله بالحيوانات، بل لا بدّ من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ».[١]

قال الترمذي[٢] **رحمه الله**: وقد قال غير واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يُتوهم، ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عُيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمِرُّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية[٣] فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه: اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم، وقالوا[٤]: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إنَّ معنى اليد هاهنا القوة.[٥] وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا

---

(١) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠).

(٢) في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة. تعليقاً على حديث: «**إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه**..». انظر حديث (٦٦١ و ٦٦٢) مكتبة المعارف ـ الرياض ـ.

(٣) نسبة إلى جهم بن صفوان.

(٤) أي الجهمية.

(٥) وبهذا تأولته الأشاعرة.

يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً وهو كما قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. اهـ.

وقال الشيخ الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني[1] **رحمه الله:** إن أصحاب الحديث متمسكين بالكتاب والسنة، حفظ الله أحياءَهم، ورحم الله أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهِد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جلَّ جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نصَّ سبحانه عليه في قوله عزَّ من قائل: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]. ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[ص: ٧٥]. وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]. ووردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذكر اليد.[2]

---

(١) المولود عام ٣٧٣ هـ والمتوفى عام ٤٤٩ هـ.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦) مكتبة الغرباء ـ المدينة المنورة ـ.

شبهة والجواب عنها:

وقد أورد بعضهم شبهة وهي: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: ألوهية وربوبية وأسماء وصفات، تقسيم حادث جاء به ابن تيمية رحمه الله.

والجواب:

١ ـ ليس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أول من قسَّم التوحيد، بل ذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره الألوهية والربوبية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]. قال: فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية.[(١)] وهذا تقسيم للتوحيد إلى ألوهية وربوبية تضمنتهما الآية.

٢ ـ إن هذا التقسيم استقرائي دلّ عليه التتبع والاستقراء لآيات وأحاديث التوحيد، وقد اقتضاه حاجة التعليم وتسهيل دراسة العقيدة، كما قسَّم العلماء العلوم إلى ما يتعلق بالفقه والأصول والمصطلح، وذلك لحاجة التعليم، ولم تكن في الصدر الأول للإسلام مقسَّمة بهذا التقسيم، ولا مشاحة في ذلك.

قال الشنقيطي رحمه الله: وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ثم ذكرها: توحيده في ربوبيته، وعبادته، وأسمائه وصفاته.[(٢)]

من أسباب مخالفة الخلف لمنهج السلف في الأسماء والصفات:

١ ـ **تقديم العقل على النقل**: فقد أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا النصوص

---

(١) تفسير الطبري، الآية (٣) من سورة يونس.

(٢) راجع أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٦).

تابعة للعقول، فما وافق عقلهم قبلوه، وما لم يوافقه ردّوه. بل لا نبعد إذا قلنا: إن المؤولة عبدوا رباً هم وصفوه، فأثبتوا بعض الصفات التي لا يمكن أن يُنزَّه عنها الإله، وما يمكن أن ينزّه عنه ويخلّى منه في عقولهم ردّوه وحرّفوه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أنهم يلزمهم فيما أثبتوه ما فرُّوا منه لأن الكلام على بعض الصفات كالكلام على البعض الآخر، ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض قانون مستقيم، فإذا قيل لهم: لِمَ تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد ؟ لم يكن لهم جواب صحيح، اللهم إلا مظنة التشبيه في الذي أوّلوه، وعدمه في الذي أثبتوه. (١)

قال السيوطي رحمه الله: «اعلم أنَّ فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين مبنياً على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء». (٢)

وقال: ثم نقول لهذا القائل (بني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه):

أخبرنا إذا أتاك أمر من الله تعالى يخالف عقلك فبأيهما تأخذ ؟ بالذي تعقل أو بالذي تؤمر ؟ فإن قال: بالذي أعقل، فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله. وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستلاماً، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة

(١) انظر في ذلك الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد ردَّ فيها على الأشاعرة وبيّن تناقض مذهبهم.

(٢) صون المنطق والكلام للسيوطي (١/ ٢٣٥) المكتبة العصرية ـ صيدا ـ .

لا تعبر إلا بالتسليم. [١]

٢ ـ **الخوض في علم الكلام** المذموم الذي عابه السلف ونهوا عن الاشتغال به، فمن هؤلاء العلماء:

أ ـ **الإمام أبو حنيفة رحمه الله**: فقد سئل: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة. [٢]

ب ـ **الإمام مالك رحمه الله**: قال: «قُبض رسول الله ﷺ وقد تمّ هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ ولا يتبع الرأي، فإنه متى اتبع الرأي جاء رجل أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل عليك اتبعته، أرى هذا لا يتم». [٣]

ج ـ **الإمام الشافعي رحمه الله**: قال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام». [٤]

وقال أيضاً: «حكمي في أهل الكلام، حكم عمر رضي الله عنه في صبيغ». [٥]

وقال أيضاً: «مذهبي في أهل الكلام تقميع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من

---

(١) نفس المصدر (١/ ٢٣٦).

(٢) صون المنطق والكلام للسيوطي (١/ ٦٦).

(٣) إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني (١٨).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٢٩) مؤسسة الرسالة بيروت.

(٥) ذم الكلام وأهله للهروي (٤/ ٨) مكتبة الغرباء بالمدينة المنورة. وانظر ضرب عمر رضي الله عنه لصبيغ بن عسل المتكلم في نفس المصدر.

البلاد». [١]

وعن أبي ثور والربيع قالا: سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح. [٢]

د ـ **الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**: قال: «أئمة الكلام زنادقة». [٣]

وقال: «لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبُّوا عن السنة». [٤]

ذكر بعض علماء الكلام الذين تراجعوا عن مذهبهم:

وقد تراجع غير واحد من أئمة علم الكلام الذين أفنوا أعمارهم في تحصيل مذهب الخلف وتقويته والدفاع عنه، قد انتابتهم الحيرة في نهاية المطاف، فلم يسعهم إلا أن يُعلنوا على رؤوس الأشهاد وفي مؤلفاتهم الرجوع عن مذهبهم، والتحذير منه، والحث على التمسك بمذهب السلف في الصفات والأخذ به، فإنه الأحكم والأعلم والأسلم.

١ ـ **أولهم الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله** الذي كان معتزلياً تلميذ الجبائي رئيس المعتزلة بالبصرة، واستمر في الدراسة حتى بلغ في الاعتزال مبلغاً خطيراً، حتى صار لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر بالبصرة بعد الجمعة، وأشهد الناس أنه تائب مما كان فيه من القول بالاعتزال[٥]،

(١) صون المنطق للسيوطي (١/ ٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧).

(٣) صون المنطق للسيوطي (١/ ٢٠١).

(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (١٥٦).

(٥) انظر ما نقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (٣٩ ـ ٤٠) دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٤م.

فصار إلى عقيدة ابن كلاب البصري فترة من الزمن[١]، ثم تراجع عنها إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله: فإنه كان تلميذ الجبائي، ومال إلى طريقة ابن كلاب البصري، وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم.[٢]

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة الحافظ زكريا الساجي رحمه الله: كان من أئمة الحديث، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف.[٣]

وقد ألّف بذلك كتاب الإبانة[٤]، وقد نص على ذلك ابن عساكر في تبيين كذب المفتري، حيث قال: فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، ليعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سمّاه الإبانة، فإنه قال:

«الحمد لله الأحد الواحد...» إلى أن قال: «فإن قال قائلٌ قد أنكرتم قول المعتزلة

---

(١) انظر: جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين للآلوسي (٢٢١) المكتبة العصرية ـ صيدا، والفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٠٣) و(٥/ ٥٥٦).

(٢) الفتاوى (٣/ ٢٢٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٨).

(٤) قال الحافظ الذهبي في السير (١٥/ ٩٠): إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول: رددت على الجبّائي، رددت على المجوس، رددت على النصارى، فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد، فخرج وصنَّف الإبانة.

والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون ....».[(١)] إلى أن قال في بيان معتقده في الصفات: «وأن الله استوى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يداً كما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له عيناً بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وذكر سائر عقيدته».[(٢)]

ومما يبين رجوع الإمام أبي الحسن الأشعري إلى مذهب أهل الحديث وما كان عليه الإمام أحمد رحمه الله، ما ذكره في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، حيث ذكر جملة قول أهل الحديث والسنة في الاعتقاد، ثم ختم بقوله: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب.[(٣)]

٢ ـ **ومنهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني** رحمه الله، في الرسالة النظامية وهي من أواخر ما ألف، حيث قال: «والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك، وأن إجماع الأمة حجة متبعة، فلو كان تأويل هذه

(١) وذكر كلاماً في مدح الإمام أحمد رحمه الله، وقد حذفته اختصاراً.

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (١٥٢ و ١٥٧ و ١٥٨).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن (٢٩٠ ـ ٢٩٧) عند حكايته قول أهل الحديث. طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ـ (ط) ثالثة.

الظواهر مسوَّغاً أو محتوماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة ﷺ والتابعين عن الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتّبع».[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا إمام الحرمين، ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن: إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ـ أو قال ـ : عقيدة عجائز نيسابور».[٢]

٣ ـ **ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني**[٣]، أخبر أنه لم يجد عند المتكلمين والفلاسفة إلا الحيرة والندم، وأنشد يقول:

والله لقد طفت المعاهد كلها ... وسيَّرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعاً كف حائرٍ ... على ذقنٍ أو قارعاً سن نادم[٤]

٤ ـ **ومنهم الإمام فخر الدين الرازي**[٥]، فقد جاء في طبقات الشافعية: قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطوغاني مرتين: أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٧٣).

(٣) المتوفى عام ٥٤٨ هـ.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٧٣).

(٥) المتوفى عام ٦٠٦ هـ.

أشتغل بعلم الكلام، وبكى.[١]

وقال في كتابه (أقسام اللذات): «لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن: أقرأ في التنزيه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١] و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. وأقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ أن الكلَّ من الله، قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ثم قال: وأقول من صميم القلب من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه، وأنشد يقول:

نهـــاية إقـدام العقـــــول عقال ... وأكـثر سعي العالمين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحـاصل دنيانـا أذى ووبـال
ولم نستفد من بحثنا طول عمـرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا».[٢]

*****

(١) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٨٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٧٣) و (٥/ ١٠ ـ ١١).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة (في العبادة)

المبحث الأول : في تلقي العلوم الشرعية .

المبحث الثاني : في الاتباع وترك الابتداع .

●

من المتقرر المعلوم من منهج السلف الصالح في العبادة: أن العبادة لا تكون صحيحةً صواباً إلا إذا كانت خالصةً لوجه الله تعالى، وأن تكون موافقةً لسنة رسول الله ﷺ.

ولا تكون العبادة كذلك إلا إذا كانت مبنيةً على العلم، إذ هي بغير ذلك تبنى على الجهل، والجهل يؤدي بصاحبه إلى البدعة، ثم إلى المعصية، والمعاصي بريد الكفر.

والعلم كما عرَّفه ابن القيم رحمه الله: «معرفة الحق بدليله».[1] وهذا هو العلم النافع الذي يؤدي بصاحبه إلى الجنة، ولا سبيل إلى اقتباسه «إلا من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته، وصرَّحت الكتب السماوية بوجوب طاعته، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى».[2] وهو العلم الذي اقتبسه الصحابة رضي الله عنهم، وسار عليه التابعون، وسلك على آثارهم أتباعهم، ثم الأئمة من بعدهم، حيث (كان دين الله سبحانه، أجلَّ في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأياً أو معقولاً، أو تقليداً، أو قياساً، فصار لهم الثناء الحسن في العالمين، وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين، ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم، ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم، زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأُخذته طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً، وإذا دعاهم

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (١/ ٧) دار الجيل.

(٢) نفس المصدر (١/ ٥).

الرسول ﷺ إلى أمرٍ انتدبوا إليه ، ولا يسألونه عمّا قال برهاناً، ونصوصه أجلُّ في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدّموا عليها قول أحد من الناس، أو يعارضوها برأي أو قياس، ثم خلف من بعدهم خلوف، فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أقوالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]».[1]

******

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٦ ـ ٧).

المبحث الأول : في تلقي العلوم الشرعية .

ولما كانت المدرسة السلفية تدعو إلى التمسك بما كان عليه سلف الأمة، كان من الطبيعي أن يسلكوا سبيل خير القرون في تلقيهم للعلوم والأحكام الشرعية العملية، مترفعين عن التقليد، غير مدَّعين الاجتهاد، ـ كما يفتري عليهم المعاندون من المتعصبين ـ وإنما واقفون مع الحق والدليل حيث كان، غير مبالين إذا كان الدليل الصحيح مع زيد أو عمرو، إذ لم نؤمر بالتعصب لأقوال الرجال، وإنما للحق حيث كان، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

العلماء بشر يخطئون ويصيبون:

على أننا نعتقد أن العلماء والمجتهدين بشر، يخطئون ويصيبون، وهم مأجورون في جميع الأحوال ما داموا مجتهدين،كما قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**».[1]

تنبيه: ولا يُفهم من كلامنا أننا نطالب العامة بالرجوع إلى الكتاب والسنة بمعنى: أن يستنبط كل إنسان الحكم الشرعي من الكتاب والسنة بنفسه وما يؤديه إليه اجتهاده، فليس الأمر كذلك، وإنما دعوتنا للعودة إلى الكتاب والسنة بمعنى أن لا نعبد الله ﷻ إلا بدليل منهما بفهم السلف الصالح لهما، لا أن نعبده بالرأي، والإصرار على قول الغير بلا دليل، في حين وجود الدليل الصحيح في المسألة.

أهل الحديث لا ينكرون الرأي والقياس الصحيح:

ومع تمسك أهل الحديث بالنص والإجماع، فإنهم لا ينكرون العمل بالرأي

---

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢) في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. ومسلم (١٧١٦) في الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد.

والقياس الصحيح، وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة (باب من شبَّه أصلاً معلوماً بأصلٍ مبيّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل). وأخرج فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، وإني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل لك من إبل ؟**». قال: نعم. قال: «**فما ألوانها ؟**». قال: حمر. قال: «**هل فيها من أورق ؟**». قال: إن فيها لورِقاً. قال: «**فأنَّى ترى ذلك جاءها ؟**». قال: يا رسول الله عِرق نزعها، قال: «**ولعل هذا عِرق نزعه ؟**». ولم يرخص له في الانتفاء منه. (١)

قال ابن بطال رحمه الله: «التشبيه والتمثيل هو القياس عند العرب». (٢)

الرأي والقياس الذي ينكره أهل الحديث:

فالذي ينكره أهل الحديث، هو الرأي والقياس الذي يُرَدُّ به النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع الثابت، أما ردُّ الفرع إلى أصل محكوم عليه في الشريعة لعلة جامعة مناسبة للحكم عند فقد النص والإجماع أو قول الصحابي الذي لم يخالف فهذا لا ينكرونه كما ذكر ذلك ابن القيم في إعلام الموقعين في بيان أقسام الرأي فقال: «الرأي ثلاثة أقسام: رأي باطل بلا ريب، ورأي صحيح، ورأي هو موضع الاشتباه، والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به، وسوَّغوا القول به، وذمُّوا الباطل، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله. والقسم الثالث سوَّغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه، حيث لا

---

(١) رواه البخاري (٧٣١٤) في كتاب الاعتصام، باب من شبّه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل. ومسلم (١٥٠٠) في كتاب اللعان.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/ ٣١٠).

يوجد منه بدّ، ولم يُلزموا أحداً العمل به، ولم يُحرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفه مخالفاً للدين، بل غايته أنهم خيَّروا بين قبوله وردّه، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه، كما قال الإمام أحمد: سألت الشافعي عن القياس فقال لي: عند الضرورة».

وقد عدّ ابن القيم رحمه الله، أنواع الرأي الباطل فجعلها أربعة:

أحدها: الرأي المخالف للنص.

الثاني: الكلام في الدين بالخرص والظن مع التقصير والتفريط في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها.

الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم.

ثم قال ابن القيم رحمه الله: «وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه، إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتمَّ فساد.

الرابع: الرأي الذي أُحدثت به البدع، وغيرت به السنن». [1]

نماذج من تلقي السلف للأحكام وتقديمهم النص على الرأي:

١ ـ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] يقول: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة». [2]

وقال أيضاً: «أما تخافون أن تُعذبوا أو يُخسف بكم أن تقولوا: قال رسول

(١) إعلام الموقعين (١/ ٦٧ ـ ٦٩) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٤) دار المعرفة ـ بيروت.

الله ﷺ وقال فلان».[١]

٢ ـ **وقال سفيان الثوري رحمه الله**: «لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﷺ بقول ولا فعل».[٢]

قال القاضي ابن العربي رحمه الله: «قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أصل في ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ، وإيجاب اتباعه والاقتداء به».[٣]

٣ ـ روى أبو هريرة رضي الله عنه حديث الوضوء ممَّا مست النار، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أبا هريرة، أنتوضأ من الدهن ؟ أنتوضأ من الحميم ؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا ابن أخي، إذا سمعت حديثاً عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له مثلاً.[٤]

وفي هذه الحادثة من الفوائد:

أ ـ أن الأصل في الأوامر والنواهي التعبد، ولا يشترط العلم بالحكمة ليبادر إلى الامتثال.

ب ـ أن النص متى ما صحّ وجب تقديمه على القياس.[٥]

٤ ـ عن ابن شهاب أن سالم بن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما حدّثه أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤) المكتب الإسلامي ـ بيروت.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٠) دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٤٥) دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) جامع الترمذي، حديث رقم (٧٩). والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٣٨٤) دار ابن الجوزي.

(٥) انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في الفقه الإسلامي (٢٨) طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت.

ابن عمر رضي الله عنهما: هي حلال. فقال الشامي: إنّ أباك قد نهى عنها. فقال عبد الله: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ، أمرُ أبي يتبع أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ.[١]

وفيه من الفوائد:

أ ـ أن من تبين له النص وجب المصير إليه، وأن النصوص لا تُعارض بأقوال الرجال.

ب ـ أن ترك أقوال العلماء المخالفة للنص لا يعتبر قدحاً بهم أو انتقاصاً لمنزلتهم.[٢]

٥ ـ **عن عمران بن حصين** رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**». فقال بُشيرُ بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة. فقال له عمران: أحدثك عن رسول ﷺ وتحدثني عن صحيفتك ؟.[٣]

وفيه من الفوائد:

أ ـ أن الحكم إذا ثبت بالسنّة، لا نحتاج إلى التدليل عليه بما هو دونها.

ب ـ أن من احتج بقول رسول الله ﷺ الصحيح الثابت عنه، السالم من المعارِض والناسخ، لا يجوز الاحتجاج عليه بقول مجتهد.

ج ـ وجوب التلقي من السنة النبوية، وترك الاعتماد على كتب الرأي.[٤]

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في التمتع. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٦٥٨).

(٢) انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٢٦).

(٣) تابعي جليل، انظر: الفتح (١٠/ ٥٣٨).

(٤) انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٣١).

تعظيم الأئمة الأربعة للسنن ونهيهم عن تقليدهم:

وأما الأئمة الأربعة رحمهم الله، فإنَّ كلاً منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله ﷺ، وهذا من فقههم رحمهم الله تعالى، ووعيهم لهذه المسألة، ومن عظيم حبّهم لله ورسوله ﷺ، فمنعوا الناس عن تقليدهم لا سيّما عند مخالفتها لصريح السنة. وسأذكر من أقوالهم ما يبيّن ذلك:

أولاً: الإمام أبو حنيفة رحمه الله: فإنه سئل: إذا قلتَ قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ، فقيل له: إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة رضي الله عنهم.[(١)]

وقال أيضاً: «لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه».[(٢)]

وقال أيضاً: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي».[(٣)]

ثانياً: الإمام مالك رحمه الله: فإنه قال: «أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق فاتركوه». وقال عند موته: «وددت أني ضُربت بكل مسألةٍ تكلمت فيها برأيي سوطاً، على أنه لا صبر لي على السياط».[(٤)]

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٤٢) الدار السلفية ـ الكويت. وإيقاظ همم أولي الأبصار للشيخ صالح الفُلاّني (٥٠) دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٢/ ٣٠٩). وإيقاظ الهمم (٥٣).

(٣) حاشية ابن عابدين (١/ ٦٣).

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني (٢٢٨) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٤).

وقال أيضاً: «كلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ».[١]

ثالثاً: الإمام الشافعي رحمه الله: فإنه قال: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس».[٢]

وقال: «ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ، وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصَّلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي».[٣]

وقال: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلت».[٤] وروى المزني عن الشافعي في أول مختصره: أنه لم يزل ـ أي الشافعي ـ ينهى عن تقليده وتقليد غيره.[٥]

رابعاً: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: قال: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا».[٦]

وقال: «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة، كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار».[٧]

---

(١) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٨/ ٩٣).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٧) و (٢/ ٣٦١). وإيقاظ الهمم للفلاني (٥٨).

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤). وإيقاظ الهمم (١٠٠).

(٤) مختصر المؤمّل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (٥٧) تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد. والمجموع شرح المهذب للنووي (١/ ٦٣).

(٥) مختصر المزني (١).

(٦) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٢). وإيقاظ الهمم (١١٣). ومختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول (٦١).

(٧) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١٤٩).

أتباع الأئمة يتركون مذهبهم عند مخالفتها للسنة:

وكذلك العلماء ممن نُسبوا إلى الأئمة فإنهم كانوا يتركون قول الإمام عند مخالفته للنص، فمن أولئك:

١ ـ **زُفر رحمه الله**: فقد ذكر أبو عبيد بسند صحيح عن زفر رحمه الله أنه رجع عن قول أصحابه، فأسند عبد الواحد بن زياد قال: قلت لزفر: إنكم تقولون: تدرأ الحدود بالشبهات، فجئتم إلى أعظم الشبهات فأقدمتم عليها، المسلم يُقتل بالكافر !! قال: فاشهد عليّ أني رجعت عن هذا. (١)

٢ ـ **الإمام القرطبي رحمه الله**: فإنه قال تعليقاً على مذهب مالك في جعله البر والشعير صنفاً واحداً (٢):«وإذا ثبتت السنة فلا قول معها».(٣)

٣ ـ **الإمام البغوي رحمه**، فقد قال تعليقاً على حديث : «**نهى النبي ﷺ عن عسب الفحل**».(٤) قال: وقد ذهب إلى تحريمه أكثر الصحابة رضي الله عنهم والفقهاء، ورخّص فيه الحسن وابن سيرين وعطاء، وهو قول مالك، قال: لأنه من باب المصلحة، ولو مُنع منه لانقطع النسل، وهو كالاستئجار للإرضاع وتأبير النخل.(٥) ثم قال البغوي رحمه الله:

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٢/ ٢٦٢).

(٢) أي في البيوع الربوية، فقد نصت السنّة على أنهما صنفان من حديث عبادة رضي الله عنه، وفيه: «...**والبر بالبر، والشعير بالشعير** ..». الحديث رواه مسلم.

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٢٦) عند تفسير الآيات (٢٧٥ ـ ٢٧٩) من سورة البقرة.

(٤) راوه البخاري (٢٢٨٤) في كتاب الإمارة، باب عسب الفحل. وعسب الفحل: هو أجرة ضراب مائه في الأنثى.

(٥) راجع إجابتنا عن هذا القياس في كتابنا : أثر قوله تعالى : ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٦٦ـ٦٧).

«وما نهت عنه السنة فلا يجوز المصير إليه بطريق القياس».[١]

٤ ـ **الإمام النووي رحمه الله**، فإنه ذكر قول الإمام مالك في الموطأ، فقال: «قال مالك: لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن به يُقتدى، نهى عن صيام يوم الجمعة، وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه، وأراه كان يتحراه».[٢]

قال النووي رحمه الله: فهذا الذي قاله هو الذي رآه، وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو، ثم قال: والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره.[٣]

وقال النووي رحمه الله في تعليقه على قول الشافعي رحمه الله: «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي». قال: وممن حكي عنه أنه أفتى بالحديث من أصحابنا: أبو يعقوب البويطي، وأبو القاسم الداركي، وممن نص عليه أبو الحسن الكيا الطبري في كتابه في أصول الفقه، وممن استعمله من أصحابنا من المحدثين: الإمام أبو بكر البيهقي وآخرون، وكان جماعة من متقدمي أصحابنا إذا رأوا مسألة فيها حديث، ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين: مذهب الشافعي ما وافق الحديث.

ثم قال النووي: قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله: «فمن وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبه نظر، إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقاً، أو في ذلك الباب، أو المسألة، كان له الاستقلال بالعمل به، **وإن لم يكمل وشقّ عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنه جواباً شافياً، فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل**

---

(١) شرح السنة للبغوي (٨/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم**». رواه مسلم. وعنه مرفوعاً: «**لا يصومنَّ أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده**». متفق عليه.

(٣) شرح مسلم للنووي (٨/ ١٩).

غير الشافعي، ويكون هذا عذراً له في ترك مذهب إمامه هنا». ثم قال النووي: «وهذا الذي قاله حسن متعيّن».[١]

بدعة التعصب المذهبي:

إن تقليد إمام بعينه وعدم الخروج عنه، لم يكن في زمن السلف الصالح، وإنما حدث التعصب في القرن الرابع، قال الإمام ابن القيم رحمه الله ـ بعد ذكره القرون الثلاثة الخيرية ـ : «ثم خلف من بعدهم خُلوف، فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]».[٢]

وقال ابن حزم: «ثم ابتدأت هذه البدعة من حيث ذكرنا في العصر الرابع في القرن المذموم، ثم لم تزل تزيد حتى عمَّت بعد المائتين من الهجرة عموماً طبق الأرض، إلا من عصم الله ﷻ، وتمسك بالأمر الأول الذي كان عليه الصحابة والتابعون وتابعو التابعين بلا خلاف من أحد منهم».[٣]

وقال أبو شامة المقدسي رحمه الله: «ثم اشتهرت المذاهب الأربعة وهُجر غيرها، فقصرت همم أتباعهم إلا قليلاً، فقلّدوا بعدما كان التقليد لغير الرسل حراماً، بل صارت أقوال أئمتهم عندهم بمنزلة الأصْلَيْن، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ

(١) المجموع شرح المهذب للنووي (١/ ٦٤).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٧).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٦/ ٨٥٨).

وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]». ثم قال: «حتى آل بهم التعصب إلى أن أحدهم إذا أُورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه [(١)]، يجتهد في دفعه بكل سبيل من التآويل البعيدة نصرةً لمذهبه، ولو وصل ذلك إلى إمامه الذي يقلده لقابله ذلك الإمام بالتعظيم وتبرَّأ من رأيه». [(٢)]

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله: «وهذا معلوم بالضرورة أنه لم يكن في الصحابة ﷺ، ولا في تابعيهم، ولا تابع التابعين، وهذه هي القرون الثلاثة التي خيّرها رسول الله ﷺ بقوله: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب**». [(٣)] الحديث وما حدثت بدعة التقليد إلا في القرن الرابع الذي ذمَّه رسول الله ﷺ». [(٤)]

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: «ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، ومع هذا يقلِّده فيه، ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده». [(٥)] وقال: «وما رأيت أحداً رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، بل يصرُّ عليه مع علمه بضعفه وبُعده، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتدِ إليه، ولم يعلم المسكين أن هذا

---

(١) أي خلاف قول إمامه.

(٢) مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (٤١ ـ ٤٢).

(٣) ورد الحديث بلفظ: «**خير الناس**» و «**خير أمتي**». وسبق تخريجه.

(٤) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (١٦٩).

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

مقابل بمثله، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر».[1]

*****

(١) نفس المصدر.

المبحث الثاني : في الاتباع وترك الابتداع .

أهل الحديث يتمسَّكون بالسنّة ولا يبتدعون:

وأهل الحديث يتمسكون بالكتاب والسنة ولا يزيدون عليها في عبادة أو اعتقاد، ويعتقدون أن الله ﷻ أتمَّ عليهم النعمة، وأكمل لهم الدين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وأن الرسول ﷺ بيّن الدين أتمّ بيان، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تَرَكَنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا وهو يذكر لنا منه علماً، فقال ﷺ: «**ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم**».[1]

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة**».[2]

ولفظ (كل) من ألفاظ العموم، فيدخل فيها كل بدعة في الدين، قال الحافظ ابن حجر: قوله: «**كل بدعة ضلالة**». قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها، فكأن يقال: (حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة). فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٦٤٧) وسنده صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحَّت المقدمتان، وأنتجتا المطلوب.[١]

وأهل الحديث يخصون البدعة بالدين، أما المصالح المرسلة والبدع الدنيوية، فهذه التي تتناولها الأحكام التكليفية الخمسة، ولا يمكن أن تكون بدعة في عبادة، لأن الابتداع استحسان، والاستحسان تشريع، وقد أنكر الله على الذين يشرعون في دينه ما لم يأذن به، فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]. وأما المصالح المرسلة فأمور حاجية تعرض للأمة في حياتها، والعبادات تامة، ولا تحتاج الأمة إلى عبادة لم يكمِّلها الشرع، وإلا اتهمنا الشرع بأنه لم يكمِّل العبادات التي يحصل بها الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «باستقراء أصول الشريعة، نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع».[٢] وقد قعَّد العلماء قاعدة وهي: (الأصل في العبادات الحظر، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله ﷺ).[٣]

الأدلة من القرآن الكريم على وجوب الاتباع وتحريم الابتداع:

١ ـ قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/ ٢٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٦).

(٣) القواعد والأصول الجامعة للشيخ عبد الرحمن السعدي (٣١).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

الأدلة من السنة:

١ ـ عن العرباض بن سارية ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».[(١)]

٢ ـ وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما**

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وأبو داود (٦٤٠٧) وغيرهما، وصححه الترمذي، والهروي، والبزار، والبغوي، وابن عبد البر، والحاكم، وأبو نُعيَم، وانظر تخريج الحديث في حاشية (الأمر بالاتباع للسيوطي) تحقيق الشيخ مشهور بن حسن سلمان.

ليس منه فهو رد».[١] وفي لفظ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».[٢]

من أقوال السلف:

١ ـ عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».[٣]

٢ ـ وقال أيضاً: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة».[٤]

٣ ـ وقال ابن عباس ﷺ لرجل قال له: أوصني، فقال: «عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع».[٥]

٤ ـ وقال ابن عمر ﷺ: «كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة».[٦]

٥ ـ وقال أبي بن كعب ﷺ: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً، وإنّ اقتصاداً في سبيل وسنةٍ خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنّة».[٧]

٦ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله بإحياء السنة وإماتة البدعة.[٨]

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم (١٧١٨) في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٢) رواه مسلم (١٧١٨) في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٣) رواه أبو خيثمة في العلم (٥٤) وانظر شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤).

(٤) رواه ابن نصر في السنة (٢٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٥ ــ ٨٨) والدارمي (٢٢٣) والحاكم (١/ ١٠٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٥) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤).

(٦) اللالكائي (١/ ١٠٤). وابن نصر في السنة (٧٠) وهو صحيح.

(٧) اللالكائي (١/ ٥٩ ـ ٦٠).

(٨) نفس المصدر (١/ ٦٢).

٧ ـ وقال الزهري رحمه الله: «الاعتصام بالسنَّة نجاة».[١]

٨ ـ وقال الأوزاعي رحمه الله: «اصبر نفسك على السنَّة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم».[٢]

وقال أيضاً: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول».[٣]

من تطبيق السلف: وقد فهم السلف أن النهي عن البدعة عام ولم يستحسنوا شيئاً منها، وهذه بعض النقول التي تدل على فهمهم.

١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً عطس إلى جنبه، فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله، قال ابن عمر رضي الله عنهما: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، ولكن ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: «**الحمد لله على كل حال**».[٤]

٢ ـ عن مجاهد رحمه الله قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما، فثوّب[٥] رجل في الظهر

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع لجلال الدين السيوطي (٤٩) بتحقيق الشيخ مشهور سلمان. دار ابن القيم ـ الدمام.

(٣) الشريعة للإمام محمد بن الحسين الآجري (٥٨) دار الكتب العلمية.

(٤) رواه الترمذي (٢٧٣٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٥) هذا التثويب يسمّى التثويب المبتدع، وهو قول المؤذن قبل إقامة الصلاة: الصلاة يا مسلمون، الصلاة الصلاة، يقول ذلك على باب المسجد تذكيراً للناس بقرب الإقامة، وقد رأيت ذلك في بعض مساجد دمشق.

ـ أو العصر ـ قال: اخرج بنا، فإنَّ هذه بدعة. (١)

قال الترمذي: قال إسحاق ـ يعني ابن راهويه ـ: التثويب المكروه،هو شيء أحدثه الناس بعد النبي ﷺ، إذا أذَّن المؤذن فاستبطأ القومَ، قال بين الأذان والإقامة: «قد قامت الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح». قال الترمذي: «وهذا الذي قال إسحاق: هو التثويب الذي كرهه أهل العلم والذي أحدثوه بعد النبي ﷺ». (٢)

٣ ـ وقال ابن مسعود رضي الله عنه لما رأى قوماً في المسجد حِلَقاً، يسبحون الله بالحصى: «إما أنكم على ملةٍ أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة». (٣)

٤ ـ عن سعيد بن المسيب رحمه الله: أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة ؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنَّة. (٤)

من أقوال العلماء في ذم البدع:

وقد ذمَّ العلماء البدع وحاربوها، فمن ذلك:

١ ـ نقل ابن الماجشون عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: «من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً، فقد زعم أنَّ محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً». (٥)

٢ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادات والديانات والتقربات

(١) رواه أبو داود (٥٣٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) سنن الترمذي، في كتاب المواقيت، باب ما جاء في التثويب في الفجر.

(٣) رواه الدارمي (١/ ٦٨) بسند حسن.

(٤) رواه البيهقي بسند صحيح.

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/ ١١١).

متلقاة عن الله ورسوله ﷺ، فليس لأحدٍ أن يجعل شيئاً عبادةً أو قربةً إلا بدليل شرعي».[١]

٣ ـ وقال ابن القيم رحمه الله: «الأصل في العبادات البطلان حتى يقوم الدليل على الأمر».[٢]

٤ ـ وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وباب القرباتِ يقتصر فيه على النصوص ولا يُتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء».[٣]

٥ ـ وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «كل ما أُحدث بعد نزول هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فهو فضلة وزيادة وبدعة».[٤]

٦ ـ وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة».[٥]

٧ ـ وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية».[٦]

*****

(١) الفتاوى (٣١/ ٣٥).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٣٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٦) سورة النجم.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٩).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٢٥٢).

(٦) جامع العلوم والحكم (٢٣٣). وانظر: إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم للشيخ سليم الهلالي (٤٠٢).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

من جهود علماء المدرسة الإسلامية السلفية
في محاربة الغلو والتطرف

توطئة :

في عصر اختلطت فيه المفاهيم، وصوِّر فيه المصلح النافع صورةَ المفسد الضار، تشتد الحاجة إلى وضوح الصورة، وتجلية الحقيقة، وإبراز المنهج الإسلامي الناصع، البريء من كل ريبةٍ أو غلوٍ أو بدعة، ذاك هو المنهج العلمي الإسلامي السلفي، المنسوب إلى خير القرون، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبرُّ الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، وأكثرها توسطاً واعتدالاً، الذين عانَوا في عصرهم من فتنة التكفير، فتصدَوا لها بالحجة والبيان، والتحذير والمفاصلة، ولم يرتضوا بتغبيش الصورة، والتستر على أهل البدع والغلو لا في الدلجة ولا الظهيرة، فحفظ الله بهم دينه، وسنَّة نبيه ﷺ، ولو سكتوا، أو خافتوا، لضاعت السُّنَّة، ولما بقي وجود للطائفة المنصورة، فلّله الحمد والمنَّة .

وفي العصر الحديث، اتّصل الماضي بالحاضر، وأطلَّت بدعة التكفير برأسها، محاولةً التسلل إلى مدرسة إسلامية علميةٍ، والتوشحَ بوشاحها الأبيض الناصع، بعد أن نبتت في مزارع الآخرين على الماء الآسِن، فتصدَّى لها علماءُ الطائفة، قاطعين عليها الطريق، كاشفين ثوبها المزوَّر، وأصلَها المبتور، فصوَّب التكفير نحوَ أهل العلم سهامَه، وأسقطوا الرموز، وأهانوا الرؤوس، فخلا لهم عند صِغارِ الديكة الجوُ، فباضوا وصفَّروا وفرّخوا أقزاماً مشوَّهين، فشوَّهوا السُّمعة، ونفَّروا عن المضمون، فالله حسيبهم وهو يتولى الصالحين .

وهذا الفصل، جمعٌ لبعض جهود علماء المدرسة السلفية في التحذير من الغلو والتطرف، والتكفير الباطل، والتفجير المخيف، وهو في حقيقة الأمر جزء من جهدهم، ولو أردنا تقصي جُهدَهم لتجاوزت صفحات البحث الأرقام، ولكن حسبُ من أراد الحقيقة هذا المقدار .

وهذا الحشدُ من أقوال أهل العلم وفتاويهم، نُهديه لطرفين من النّاس :

الأول : شباب مسلم بريء، ينقاد خلف صيحاتٍ بدعيةٍ، ونداءات حزبيةٍ، تستغل عاطفته الجيَّاشة، وظروف الأمة الحرجة، فتشوِّشه على أهل العلم البارزين، وتقلب له ظهر المجنّ، فلا يعرف لأهل العلم فضلهم، ولا اختصاصهم، وحسبهم هذه الأسماء التي لو انفرد كل واحدٍ منهم لكان جبلاً من جبال العلم، وطوداً شامخاً في الفهم، فكيف لو انضمّ بعضها إلى بعض ؟

الثاني : عامة الناس الذين كوَّنوا فكرةً خاطئة عن المدرسة السلفية من خلال ممارسات التكفيريين التفجيريين، الذين حُسبوا زوراً وبُهتاناً على المدرسة السلفية المباركة حاملة لواء الكتاب والسنة بتعظيم النصوص، ورفع لواء الرسول ﷺ .

وأخيراً، نؤكد تبني المدرسة السلفية لكلام أهل العلم المذكور في صفحات هذا الفصل، ونؤكد خلوَّها من الظواهرية كما خلت من جمود الظاهرية، وإنما هي مدرسة علمية سلفية، تضرب جذورها بأعماق التاريخ واصلةً إلى الأئمة : مالك والشافعي وأحمد ـ علماء أهل الحديث ـ مستفيدة من فقه إمام الرأي والاجتهاد أبي حنيفة النعمان، رحم الله الجميع، وجمعنا بهم في جنات النعيم .

*****

ذكر أقوال وفتاوى العلماء
في محاربة الغلو والتطرف

أولاً : هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية[1] :

صدر عن هيئة كبار العلماء في الدورة الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من ١٢ / ١ / ١٤٠٩هـ إلى ١٨ / ١ / ١٤٠٩هـ ما يلي :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين . وبعد :

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين، المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من ١٢ / ١ / ١٤٠٩هـ إلى ١٨ / ١ / ١٤٠٩هـ بناء على ما ثبت لديه من وقوع عدة حوادث تخريب ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء، وتلف بسببها كثير من الأموال والممتلكات والمنشآت العامة في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة والحاقدة، ومن ذلك :

نسف المساكن، وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة، ونسف الجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها . وحيث لوحظ كثرة وقوع مثل هذه الجرائم في عدد من البلدان القريبة والبعيدة، وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع مثل هذه الأعمال التخريبية، فقد رأى مجلس هيئة كبار العلماء ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً، سواء كان موجهاً ضد المنشآت العامة والمصالح الحكومية، أو كان موجهاً لغيرها بقصد الإفساد والإخلال بالأمن .

وقد اطّلع المجلس على ما ذكره أهل العلم من أن الأحكام الشرعية تدور من

---

(١) وهي أكبر هيئة علمية سلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

حيث الجملة على وجوب حماية الضروريات الخمس، والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة، وهي : (الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال) . وقد تصوّر المجلس الأخطار العظيمة التي تنشأ عن جرائم الاعتداء على حرمات المسلمين في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، وما تسببه الأعمال التخريبية من الإخلال بالأمن العام في البلاد، ونشوء حالة الفوضى والاضطراب، وإخافة المسلمين على أنفسهم وممتلكاتهم .

والله سبحانه وتعالى قد حفظ للناس أديانهم وأبدانهم وأرواحهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام والخاص، وممّا يوضح ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] . وقوله سبحانه :﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] . وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن والاطمئنان، وردع من تسوّل له نفسه الإجرام والاعتداء على المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وغيرها على السواء لقوله سبحانه : ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: ٣٣] والله تعالى يقول : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضرّه بعد

الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضرّ ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك) .

وقال القرطبي : (نهى سبحانه وتعالى عن كل فساد، ـ قلّ أو كثر ـ بعد صلاح ـ قلّ أو كثر ـ، فهو على العموم على الصحيح من الأقوال) .

وبناء على ما تقدم، ولأن ما سبق إيضاحه يفوق أعمال المحاربين الذين لهم أهداف خاصة يطلبون حصولهم عليها من مال أو عرض، وهؤلاء هدفهم زعزعة الأمن وتقويض بناء الأمة، واجتثاث عقيدتها، وتحويلها عن المنهج الرباني، فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يلي :

أولاً : من ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض التي تزعزع الأمن بالاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال، كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك، فإن عقوبته القتل، لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد، ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية وضررهم أشدّ من خطر وضرر الذي يقطع الطريق فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة .

ثانياً : أنه لا بُدَّ قبل إيقاع العقوبة المشار إليها في الفقرة السابقة من استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من جهة المحاكم الشرعية وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى، براءة للذمة واحتياطاً للأنفس، وإشعاراً بما عليه هذه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم وتقرير عقابها .

ثالثاً : يرى المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .[١]

ثانياً : سماحة الشيخ العلاَّمة عبد العزيز بن باز.[٢] رحمه الله تعالى .

المفتي العام للمملكة العربية السعودية ـ سابقاً ـ :

في حوار مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حول (الفقه في الدين) أجرته معه جريدة الشرق الأوسط :

السؤال (١) : من المسائل المثارة : قضية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والضوابط الشرعية لهذه العلاقة .

سماحة الشيخ، هناك من يرى أن اقتراف الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد، والأحداث التي يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة، فما رأي سماحتكم في هذا ؟

الجواب (١) : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد :

فقد قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] . فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر، وهم : الأمراء والعلماء، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبيّن أن هذه الطاعة لازمة،

(١) فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة (٧ ـ ١١) .

(٢) من كبار علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث .

وهي فريضة في المعروف .

والنصوص من السنّة تبيّن المعنى، وتقيّد إطلاق الآية بأن المراد : طاعتهم بالمعروف، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها، لقوله ﷺ : «**ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة**»[(١)]، ولقوله ﷺ: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية**»[(٢)]، وقال عليه الصلاة والسلام : «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[(٣)]، وسأله الصحابة ﭫ لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون . قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: «**أدّوا إليهم حقّهم وسلوا الله حقّكم**»[(٤)] . قال عبادة بن الصامت ﭬ: (بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا ننازع الأمر أهله) . قال : «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[(٥)] . فهذا يدلّ على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور، ولا الخروج عليهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) في كتاب الإمارة، (باب خيار الأئمة وشرارهم) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨) في كتاب الإمارة، (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) .

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤) في كتاب الأحكام، (باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) . ومسلم (١٨٣٩) في كتاب الإمارة، (باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٠٣) في كتاب المناقب، (باب علامات النبوة في الإسلام) . ومسلم (١٨٤٣) في كتاب الإمارة، (باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول) .

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٦) في كتاب الفتن، (باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**») . ومسلم (١٨٤٠) في كتاب الإمارة، (باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) .

إلاّ أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج، رعاية للمصالح العامة .

والقاعدة الشرعية المجمع عليها أنه: (لا يجوز إزالة الشرّ بما هو أشرّ منه، بل يجب درء الشرّ بما يزيله أو يخففه)، أما درء الشرّ بشرّ أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفراً بواحاً عندها قدرة تزيله بها، وتضع إماماً صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين، وشرّ أعظم من شرّ هذا السلطان فلا بأس .

أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال.... إلى غير هذا من الفساد العظيم، فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشرّ وتقليله وتكثير الخير .

هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك، لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشرّ وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شرّ أكثر .

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية .

السؤال (٢) : سماحة الوالد، نعلم أنّ هذا الكلام أصل من أصول أهل السنة

والجماعة، ولكن هناك ـ للأسف ـ من أبناء أهل السنّة والجماعة من يرى هذا فكراً انهزامياً، وفيه شيء من التخاذل، وقد قيل هذا الكلام، لذلك يدعون الشباب إلى تبني العنف في التغيير .

الجواب (٢) : هذا غلط من قائله، وقلة فهم، لأنهم ما فهموا السنة ولا عرفوها كما ينبغي، وإنما تحملهم الحماسة والغيرة لإزالة المنكر على أن يقعوا فيما يخالف الشرع، كما وقعت الخوارج والمعتزلة، حملهم حبّ نصر الحقّ أو الغيرة للحقّ، حملهم ذلك على أن وقعوا في الباطل حتى كفّروا المسلمين بالمعاصي كما فعلت الخوارج، أو خلّدوهم في النار بالمعاصي كما تفعل المعتزلة . فالخوارج كفّروا بالمعاصي، وخلّدوا العصاة في النار، والمعتزلة وافقوهم في العاقبة، وأنهم في النار مخلّدون فيها، ولكن قالوا: إنهم في الدنيا بمنزلة بين المنزلتين، وكلّه ضلال .

والذي عليه أهل السنة ـ وهو الحقّ ـ أن العاصي لا يكفر بمعصيته ما لم يستحلّها، فإذا زنا لا يكفر، وإذا سرق لا يكفر، وإذا شرب الخمر لا يكفر، ولكن يكون عاصياً ضعيف الإيمان فاسقاً تقام عليه الحدود، ولا يكفر بذلك إلاّ إذا استحل المعصية وقال : إنها حلال، وما قاله الخوارج في هذا باطل، وتكفيرهم للناس باطل، ولهذا قال فيهم النبي ﷺ: إنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه، يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، هذه حال الخوارج بسبب غلوّهم وجهلهم وضلالهم.

فلا يليق بالشباب ولا غير الشباب أن يقلّدوا الخوارج والمعتزلة، بل يجب أن يسيروا على مذهب أهل السنة والجماعة على مقتضى الأدلة الشرعية، فيقفوا مع النصوص كما جاءت، وليس لهم الخروج على السلطان من أجل معصية أو معاصٍ وقعت منهم، بل عليهم المناصحة بالمكاتبة والمشافهة، بالطرق الطيبة الحكيمة، وبالجدال بالتي هي أحسن،

حتى ينجحوا، وحتى يقلّ الشرّ أو يزول ويكثر الخير .

هكذا جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ، والله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا حدود الشرع، وأن يناصحوا من ولاّهم الله الأمور، بالكلام الطيب والحكمة، والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقلّ الشرّ، وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة، ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة، مع الدعاء لهم بظهر الغيب، أن الله يهديهم ويوفقهم ويعينهم على الخير، وأن الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحقّ .

هكذا يدعو المؤمنُ اللهَ ويتضرع إليه أن يهدي ولاة الأمور، وأن يعينهم على ترك الباطل، وعلى إقامة الحقّ بالأسلوب الحسن وبالتي هي أحسن، هكذا مع إخوانه الغيورين ينصحهم ويعظهم ويذكرهم، حتى ينشطوا في الدعوة بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدّة، وبهذا يكثر الخير، ويقلّ الشرّ، ويهدي الله ولاة الأمور للخير والاستقامة عليه، وتكون العاقبة حميدة للجميع .[1]

(١) الفقه في الدين عصمة من الفتن للشيخ الفوزان .

فضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى[١] :

لا شك أن الطريق الصحيح هو ما كان رسول الله ﷺ يدندن حوله، ويذكِّر أصحابه به في كلِّ خطبة : «**وخير الهدي هدي محمد** ﷺ» . فعلى المسلمين كافة ـ وبخاصة منهم من يهتم بإعادة الحكم الإسلامي ـ أن يبدؤوا من حيث بدأ رسول الله ﷺ وهو ما نوجزه نحن بكلمتين خفيفتين : (التصفية[٢]، التربية) .

ذلك لأنّنا نعلم حقائق ثابتة وراسخة يغفل عنها ـ أو يتغافل عنها ـ أولئك الغلاة، الذين ليس لهم إلا إعلان تكفير الحكام، ثم لا شيء .

وسيظلون يعلنون تكفير الحكام، ثم لا يصدر منهم ـ أو عنهم ـ إلا الفتن والمحن!!

والواقع في هذه السنوات الأخيرة على أيدي هؤلاء، بدءاً من فتنة الحرم المكي، إلى فتنة مصر، وقتل السادات، وأخيراً في سوريا، ثم الآن في مصر والجزائر، منظور لكل أحد، هدر دماء من المسلمين الأبرياء بسبب هذه الفتن والبلايا، وحصول كثير من المحن والرزايا .

كلّ هذا بسبب مخالفة هؤلاء لكثير من نصوص الكتاب والسنة، وأهمها قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .[٣]

(١) من كبار علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ من بلاد الشام .

(٢) أي تصفية الإسلام من البدع والخرافات التي علقت به وليست منه .

(٣) فتنة التكفير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٣٩ ـ ٤١) .

فضيلة الشيخ العلاَّمة محمد بن صالح العثيمين[١] رحمه الله ـ عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية :

سُئل : فضيلة الشيخ، لا يخفى عليكم حادث التفجير الذي سبق وأن وقع في العليا، وحدث فيه إزهاق للأرواح من المعاهَدين وغير ذلك، والذي حدث من أحداث الأسنان وسفهاء الأحلام، وأنكم تعلمون عِظَم هذا الفعل وما فيه من مخالفةٍ لأمر الله، وأمر رسوله وعدم الأخذ بالأدلة الشرعية، وتسفيه لآراء العلماء والراسخين في العلم، ومن مشاقة ومحاربة لولي الأمر، والآن وقد حدث تفجير جديد في الخبر، فهل من كلمة لتبيين دين الله تعالى في ذلك، والتحذير من هذا المنزلَق الخطير الذي سلكه فئة من الشباب وهم قلة ولله الحمد، وهو مستمد من فعل الخوارج وهم قد لا يعلمون أنهم يفعلون ذلك، وأن فعلهم فعل الخوارج ؟ فهل من تبيين لدين الله سبحانه وتعالى ؟

فأجاب : والله لا شك أن هذا العمل عمل لا يرضاه أحد، كل عاقل، فضلاً عن المؤمن لا يرضاه، لأنه خلاف الكتاب والسنة، ولأن فيه إساءة إلى الإسلام في الداخل والخارج، لأن كل الذين يسمعون بهذا الخبر، لا يضيفونه إلا إلى المتمسكين بالإسلام، ثم يقولون : هؤلاء هم المسلمون ؟ هذه أخلاق الإسلام، والإسلام منها بريء . فهؤلاء في الحقيقة أساءوا قبل كل شيء إلى الإسلام، ونسأل الله تعالى أن يجازيهم بعدله بالنسبة لهذه الإساءة العظيمة .

ثانياً : أنهم أساءوا إلى إخوة لهم من الملتزمين، لأنه إذا تصوَّر الناس حتى المسلمون أن هذا يقع ممّن يدَّعي أنه مسلم، وأنه يغار للإسلام، فسوف يَكْرَه مَن هذه أخلاقه، وسوف يظن أن هذه أخلاق كل ملتزم . ومن المعلوم أن هذا لا يمثل أحداً من

(١) من كبار علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

الملتزمين إطلاقاً، لأن الملتزم حقيقة هو الذي يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . ولا يخفى علينا جميعاً أن الله تعالى أمر بوفاء العهود وأمر بوفاء العقود، وقال : ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] .

ولا يخفى علينا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «**من قتل معاهَداً لم يرح رائحة الجنة**»[(١)] . ولا يخفى علينا أيضاً أنه قال عليه الصلاة والسلام: «**ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» .[(٢)] ولا يخفى علينا أن الائتمان أو التأمين والإجارة يكون حتى من واحد من المسلمين، وإن لم يكن ولي أمر، ولو كانت امرأة، قال النبي ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**» .[(٣)] فكيف إذا كان هذا الأمان من ولاة الأمور ؟! فهذا هو عين المحادة لله ورسوله ﷺ، وعين المشاقة لله ورسوله ﷺ .

ثالثاً : لو قدّرنا على أسوأ تقدير أن الدولة التي ينتمي إليها هؤلاء الذين قُتلوا، دولة معادية للإسلام فما ذنب هؤلاء ؟! هؤلاء الذين جاءوا بأمر حكومتهم ولم يأتوا بأمرهم، قد يكون بعضهم جاء عن كره، ولا يريد الاعتداء، ثم ما ذنب المسلمين الساكنين هناك ؟! فقد قتل من المسلمين من هذه البلاد عدة وأصيب عدة من هؤلاء، من أطفال، وعجائز، وشيوخ، في مأمنهم، في ليلهم، عند الرقاد على فرشهم . ولهذا تعتبر هذه جريمة

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) في كتاب الجزية والموادعة، (باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٠٠) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧) في كتاب الصلاة، (باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به) . ومسلم (٣٣٦) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (باب استحباب صلاة الضحى) .

من أبشع الجرائم، ولكن بحول الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام :٢١] سوف يُعْثَر عليهم ـ إن شاء الله ـ ويأخذون جزاءهم . لكن الواجب على طلاب العلم أن يبيّنوا أن هذا المنهج منهج خبيث، منهج الخوارج الذين استباحوا دماء المسلمين وكفّوا عن دماء المشركين، وأن هؤلاء إما جاهلون، وإما سفهاء، وإما حاقدون . فهم جاهلون : لأنهم لا يعرفون الشرع، الشرع يأمر بالوفاء بالعهد وأوفى دِينٍ في العهد هو دين الإسلام والحمد لله . وهم سفهاء أيضاً : لأنه سوف يترتب على هذه الحادثة من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، يعني : ليست هذه وسيلة إصلاح، حتى يقولوا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة :١١] بل هم المفسدون في الواقع .[1]

۞۞۞۞۞۞۞

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله [2] ـ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية :

قال معاليه : إنكم مطالبون يا حملة الشريعة، ويا دعاة الإسلام، ويا خطباء المساجد وأئمتها، ويا علماء الإسلام، ويا فقهاء الإسلام أن تكونوا واقعيين في الطرح، فليس الأمر مقبولاً إذا كانت أطروحاتنا خيالية، أو بعيدة عن قبول التطبيق، لا يمكنك أن تطبق على الناس ما لم يكن مقبولاً لدى الناس، وما لم يكن مقبولاً في مصالحهم، ويجب أن نرعى أحوال الناس وما يختلفون فيه، فالخيالات والتنظيرات ليست بمقبولة .

كذلك إذا كنا نريد من الناس في ميدان الدعوة أن يكونوا خياليين، يأتون إلى

(١) لقاءات الباب المفتوح .

(٢) وهو من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

الناس بكلماتهم، وتنظيراتهم، وتحميس الناس إلى ما ليس بميدان في التحميس .

ويكونون خياليين كمن يدعون إلى الجهاد، ولا يوجد ميدان صحيح للجهاد، ومن يدعو إلى الإنكار باليد ولا ميدان للإنكار باليد إلا من جهة الاختصاص، فيحمل ذلك الناس على الحماس، وحينئذ يفرغون حماسهم في طرق غير شرعية، قد يكون من نتائجها ما حصل من تفجير في الرياض، وما قد يحصل مستقبلاً .

فيجب عليك أن ترعى كلمتك في أن لا تكون خيالياً فيما تطرح، وأن لا تتكلم بكلام ينزله الناس على واقع ليس في ذهنك .

بعض المعلمين أو بعض الدعاة والخطباء يقول كلاماً هو في نفسه صحيح، ويكون عند الخطيب أو عند الداعية، أو عند المعلم، أو عند أستاذ الجامعة، يكون عنده ضوابط تحجزه عن أن يزيد في تطبيق ما ذكر عن الحدّ المأذون به شرعاً، لكن هو لا يأمن من يخاطب ومن يحدِّثُ، أن لا يزيد في تطبيق ما ذُكر من الحدّ المأذون به شرعاً، والحقّ قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة :١٠٤] .

نهى الله جلَّ وعلا أهل الإيمان عن أن يقولوا : ﴿رَٰعِنَا ﴾، فلماذا ؟ الجواب : أن كلمة ﴿رَٰعِنَا ﴾ تحتمل أن تفهم كما يقوله اليهود : (راعناً) من الرعونة والغلظة والشدة، يريد بها النبي ﷺ وأصحابه .

كذلك الذين يتحدثون للناس عبر الخطبة، أو المسجد، أو المدارس، أو الجامعات، ويقولون كلمة ليست صحيحة في نفسها، أو يمكن أن تُفهم على غير وجهها، أو توقع المستمع في اللَّبس، ثم هم لا يوضّحون، فإنهم حينئذٍ يكونون شركاء في البعد عن الاعتدال، وشركاء في عدم الفهم الحسن .

كذلك يجب علينا أن ننظر إلى قول النبي ﷺ : «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[1] أي : تكون رفيقاً في الكلمة، وفي التفكير،وفي الإرشاد، وفي الطرح، فالرفق مطلوب، الله جلَّ وعلا رفيق يحبّ الرفق في الأمر كلّه، فهل نريد غير ما يحبّ الله جلَّ وعلا ؟ هل نريد غير ما يرضى الله جلَّ وعلا عنه ؟

فإذا كنت غير رفيق في أمرك، وفي تفكيرك، وفي مقاصدك، وفي أطروحاتك، وفيما تقول، وفيما تذر، وفي أعمالك، وفي الحكم على الأشياء، والحكم على التصورات، والحكم على الأشخاص، فحينئذ تكون قد فوَّتّ أعظم شيء، وهو محبة الله جلَّ وعلا لك.

الوسطية في الدعوة مطلوبة، الدعوة تحتاج منَّا إلى تنظيم وإلى ترتيب، وإلى تعاون على البرّ والتقوى، لكن هذه الدعوة حيث إنه لا يصلح فيها الفوضوية، بل يجب أن يتعاون فيها أهل الحق، وأهل الخير، فإنه لا يجوز أن نكون فيها مغالين، فنذهب في الدعوة إلى تنظيمات بدعية، أو تنظيمات سرية، أو إلى حزبية مقيتة، والموالاة والمعاداة على رموز دعوة متوهمة فوضوية .

نريد دعوة تحتاج إلى تعاون على البرّ والتقوى، وفْق منهج أهل السنة والجماعة، ووفْق التطاوع، فالطاعة لا تجوز في بلد الإسلام إلا لوليّ الأمر . الطاعة المتوهمة لجماعة، أو لدعوة، أو لحزب، أو نحو ذلك ليست شرعية .

النبي ﷺ حين أرسل معاذاً وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن، مع أن أحدهما كان أميراً للسفر، فحينما أتى أمر الدعوة قال لهما : «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا**

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) في كتاب البر والصلة والأدب، (باب فضل الرفق) .

وتطاوعا»[(١)]. فليس ثَمّ مجال لطاعة مطلقة وفْق تنظيم سري، وفْق حزبية مغلقة، بل التنظيم يكون وفق تنظيم وليّ الأمر، والطاعة تكون وفْق طاعة الله جلَّ وعلا، وطاعة رسوله ﷺ، ثمَّ طاعة وليّ الأمر فيما ليس فيه معصية .

فنحتاج إلى تعاون في الدعوة على البرِّ والتقوى، وإلى تكاتف، وإلى أن نكون في الإطار الذي أذِنَ به وليّ الأمر، والإطار الذي لا ينتج مفاسد .

أما الإطارات الأخرى التي يتكلم فيها الناس، أو قد تكون موجودة في بعض البلدان، ونخشى أن تكون موجودة عندنا، أو تنتقل إلينا من تنظيمات سرية أو حزبيات مبتدعة، فإن هذا مخالف للمنهج الوسطي، ولطريقة أهل السنة والجماعة، فما كوَّن إمام من الأئمة مع ما حصل في زمنهم جماعة خلاف ما أقرَّه وليّ الأمر، ولم يُكوِّنوا تنظيماً، وإنما كانوا وفْق المنهج الوسط الذي يرعى الممكن، ويرعى الدعوة وفْق التعاون على البرِّ والتقوى .[(٢)]

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤١) في كتاب المغازي، (باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع) . ومسلم (١٧٣٣) في كتاب الجهاد والسير، (باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث) .

(٢) الوسطية والاعتدال وأثرهما على حياة المسلمين . محاضرة لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ ـ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية . (٥١ ـ ٥٣) .

فضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان[1] حفظه الله ـ عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية :

سئل فضيلته : هل التنظيمات السرية مشروعة في الإسلام ؟ وخاصة في البلاد التي يُهاجَم فيها الإسلام وأهله ؟

فأجاب حفظه الله :

يقول الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ويقول جلَّ وعلا : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾، والمسلمون مع أعدائهم لهم حالتان :

الحالة الأولى : أن لا يكون للمسلمين دولة تحميهم، ولا قوة تمنعهم من عدوّهم، ففي هذه الحالة يجب على المسلمين الدعوة إلى الله والبيان باللسان فقط، كحالة المسلمين مع النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة .

ولا يجوز لهم في هذه الحالة أن يقوموا بالاغتيالات والتنظيمات السرية التي تجرّ عليهم الضرر وتسلط العدو عليهم، لأن المضرّة في هذه الاغتيالات والتنظيمات أرجح من المصلحة .

الحالة الثانية : أن يكون للمسلمين دولة ولهم قوة ومنعة، ففي هذه الحالة يجب عليهم شيئان : الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله من غير غدر ولا خيانة، كالحالة التي كان عليها النبي ﷺ والمسلمون بعد الهجرة إلى المدينة .[2]

(١) من كبار علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

(٢) جريدة المسلمون، العدد (٣٢) .

معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد[1] حفظه الله ـ إمام وخطيب المسجد الحرام، ورئيس مجلس الشورى :

قال معاليه في خطبةٍ ألقاها في المسجد الحرام بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٤٢٥هـ :

إن متغيرات العصر ومضلات الفتن وتكالب الأعداء وتداعي الأكلة، تدعو المسلم الغيور على أمته، الصادق في تدينه، الناصح لإخوانه أن يربأ بنفسه أن يكون معول هدم في يد أعدائه من حيث يدري أو لا يدري، يقع في إخوانه المسلمين، يكفِّر ويبدِّع، بل ويتجرأ فيقتل ويسفك الدماء .

وإن ما حدث هذه الأيام من اعتداءات على إخواننا رجال الأمن، اعتداء آثم وطائش، وإجرام صارخ، يصبّ في هذا السلك الضال . إنه اعتداء وعدوان وقتل وترويع وإشاعة للفوضى من أجل اختلاط الحابل بالنابل والتدمير والتخريب، وإنه إزهاق لنفوس محرمة وسفك لدماء معصومة .

إنه مسلك رخيص فاضح، شذوذ وعدوان وإجرام، دافعه استبطان أفكار مضللة وآراء شاذة ومبادئ منحرفة، في خطوات تائهة ومفاهيم مغلوطة .

أيّ قبول لناشري الفوضى ومهدري الحقوق ومرخصي النفوس ؟! ولقد جمع هؤلاء ـ عياذاً بالله ـ بين قتل النفوس المحرمة وقتل أنفسهم، ولقد قال الله عزَّ وجلّ في محكم تنزيله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء : ٢٩ ـ ٣٠] وقال عزَّ شأنه : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] . وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ:

(١) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

«**لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**» .[١]

مفاسد عظيمة وشرور كثيرة، وإفساد في الأرض، وترويع للمؤمنين والآمنين، ونقض للعهود، وتجاوز على إمام المسلمين . جرائم نكراء، في طيّها منكرات . أعمال سيئة شريرة، تثير الفتن، وتولد التحزب، تدمير للطاقات، وتشتيت للجهود . أعمال تهدّ المكتسبات، وتؤخر مسيرة الإصلاح، وتخذل الدعوة والدعاة، وتفتح أبواب الشرّ أمام ألوان من الصراعات، بل ربّما هيأت فرصاً للتدخلات الأجنبية، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الموقف الصريح الذي لا لبس فيه ولا يختلف عليه، إنكار هذا العمل الشنيع واستنكاره ورفضه وتجريمه وتحريمه . وليحذر من أراد الخير لنفسه من عمى البصيرة وتزيين الشيطان، فيرى الحقّ باطلاً، والباطل حقاً والعياذ بالله .

إن من المعلوم أن الخوارج كانوا أهل عبادة، فيهم مظاهر الصلاح وإظهار لبعض المشاعر كما في الحديث : «**تحقرون صلاتكم عند صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**».[٢] هؤلاء الخوارج الشاذّون ظهروا في خير القرون وأفضلها، في عهد نبينا محمد ﷺ، فوصل بهم الحال إلى أن حاربوا الصحابة والمسلمين، بل وقتلوا الخليفتين الراشدين عثمان وعلياً رضي الله عنهما . ألا يكفي زيفاً وضلالاً أن يجهِّل الخوارج صحابة رسول الله ﷺ ويكفرونهم ويحاربونهم ؟! لقد كان عند الخوارج شيء من حماس ونوع من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) في كتاب الديات، (باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) في كتاب فضائل القرآن، (باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فخر به) . ومسلم (١٠٦٤) في كتاب الزكاة، (باب ذكر الخوارج وصفاتهم) .

إخلاص، لكن لم يكن عندهم علم صحيح ولا فقه سليم، حاربوا الصحابة، وقتلوا الخلفاء، زاعمين أن هذا هو طريق الإصلاح .

أيها المسلمون، إن من أعظم أسباب انحراف هؤلاء، الجهل والعزلة عن المجتمع، وعدم أخذ العلم من أهله، وغفلة الأسرة . وإن في بعضهم إعجاباً بالنفس كبيراً، وهذه كلّها من الصوارف عن الحقّ والفقه وأخذ العلم من أهله وأبوابه .

معاشر المسلمين، وثمة سبب في هذا الانحراف كبير، ذلكم هو الوقوع في دائرة الغلو . إن الغلو في دين الله هو ـ والله ـ سبب الهلاك، فلقد قال عليه الصلاة والسلام : «**إيّاكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» [(١)] . [(٢)]

۞۞۞۞۞۞۞

فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن جبرين[(٣)] رحمه الله:

سئل الشيخ ابن جبرين : يرى البعض أن أعمال التفجير والاغتيال والتخريب واجبة لمواجهة الحاكم، بحجة أن الحاكم لا يحكم بما أنزل الله .

فأجاب : لا شكّ أن هذه الأفعال محرَّمة، لما فيها من الإفساد والإضرار بالمجتمعات، وما ينتج عنها من المفاسد، ولو كان الحاكم لا يحكم بما أنزل الله، إذ يترتب على ذلك من المضايقات والعقوبات، فإن الحاكم سوف يصبّ جامَّ غضبه على أهل تلك

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٥) . وانظر السلسلة الصحيحة (١٢٨٣) .

(٢) من خطبة معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد . (من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية ـ فرع القصيم) .

(٣) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

الصفات، الذين قاموا بهذه التخريبات، وفعلوا تلك الأفاعيل الشنيعة .[١]

۞۞۞۞۞۞۞

فضيلة العلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العبّاد البدر[٢] حفظه الله ـ المدرس بالمسجد النبوي الشريف :

قال فضيلته :

إنّ الشيطانَ يدخل إلى أهل العبادة لإفساد دينهم من باب الإفراط والغلوِّ في الدِّين، كما حصل من الخوارج والعصابة التي شغفت برأيهم، وأنَّ طريق السلامة من الفتن، الرجوع إلى أهل العلم، كما حصل رجوع ألفين من الخوارج بعد مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما، وعدول العصابة عمَّا همَّت به من الباطل برجوعها إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

بعد هذا التمهيد أقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ! فإنَّ ما حصل من التفجير والتدمير في مدينة الرياض، وما عُثر عليه من أسلحة ومتفجِّرات في مكة والمدينة في أوائل هذا العام (١٤٢٤هـ) هو نتيجة لإغواء الشيطان وتزيينه الإفراط والغلو لِمَن حصل منهم ذلك، وهذا الذي حصل من أقبح ما يكون في الإجرام والإفساد في الأرض، وأقبح منه أن يزيِّن الشيطان لِمَن قام به أنَّه من الجهاد، وبأيِّ عقل ودين يكون جهاداً قتل النفس وتقتيل المسلمين والمعاهدين وترويع الآمنين وترميل النساء وتيتيم الأطفال وتدمير المباني على من فيها ؟!

---

(١) كيف نعالج واقعنا الأليم، جمع وإعداد علي أبو لوز (٨٩) .

(٢) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

وقد رأيت إيراد ما أمكن من نصوص الكتاب والسنة في مجيء الشرائع السابقة بتعظيم أمر القتل وخطره، وإيراد نصوص الكتاب والسنة في قتل المسلم نفسه وقتل غيره من المسلمين والمعاهدين عمداً وخطأ، وذلك لإقامة الحجّة وبيان المحجَّة، وليهلك مَن هلك عن بيِّنة ويحيى من حيَّ عن بيِّنة .

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يهدي من ضلَّ إلى الصواب ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن يقيَ المسلمين شرَّ الأشرار، إنَّه سميع مجيب .

ما جاء في تعظيم أمر القتل وخطره في الشرائع السابقة :

قال الله عزَّ وجلَّ عن أحد ابني آدم : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ وقال ﷺ : «**لا تُقتل نفس ظلماً إلاَّ كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها، لأنَّه أول من سنَّ القتل**»[1]، وقال الله عزَّ وجلَّ عن رسوله موسى عليه السلام أنَّه قال للخضر : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾، وقال عنه : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾، وفي صحيح مسلم عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : يا أهل العراق! ما أسْأَلَكُم عن الصغيرة وأركبَكم للكبيرة ! سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنَّ الفتنةَ تجيء من هاهنا**»، وأومأ بيده نحو المشرق، من حيث

(١) رواه البخاري (٣٣٣٥) في كتاب أحاديث الأنبياء، (باب خلق آدم وذريته) . ومسلم (١٦٧٧) في كتاب القسامة والمحاربين، (باب بيان إثم من سنّ القتل) .

يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضُكم رقاب بعض، وإنَّما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله عزَّ وجلَّ له : ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ (١)

وقول سالم بن عبد الله : (ما أسألَكم عن الصغيرة وأركبَكم للكبيرة !) يشير بذلك إلى ما جاء عن أبيه في صحيح البخاري أنَّه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض، فقال : (انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النَّبيِّ ﷺ، وسمعت النَّبيَّ ﷺ يقول : «**هما ريحانتاي من الدنيا**»، يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما . (٢)

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**لن يزال المؤمن في فُسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً**» .(٣)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : (إنَّ من وَرْطات الأمور التي لا مخرج لِمَن أوقع نفسَه فيها سفك الدم الحرام بغير حِلِّه) .(٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : «**أبغضُ الناس إلى الله ثلاثة: مُلحدٌ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٥) في كتاب الفتن، (باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٤) في كتاب الأدب، (باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) في كتاب الديات، (باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء : ٩٣]) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٦٣) في كتاب الديات، (باب قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء : ٩٣]) .

في الحرَم، ومبتغ في الإسلام سنَّة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حقٍّ ليهريق دمه» .[١]

وفي صحيح البخاري عن جندب بن عبد الله قال : (إنَّ أوَّل ما ينتن من الإنسان بطنُه، فمَن استطاع أن لا يأكل إلاَّ طيِّباً فليفعل، ومَن استطاع أن لا يُحال بينه وبين الجنَّة بملء كفٍّ من دم هراقه فليفعل) .[٢]

وقال ﷺ : «**ومَن خرج على أمَّتي يضرب برَّها وفاجرَها، ولا يتحاشا من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهدَه، فليس منِّي ولستُ منه**»[٣] .[٤]

❁❁❁❁❁❁❁

فضيلة الشيخ عبد الكريم الخضير [٥] حفظه الله:

ما نظر الشرع للتفجيرات الأخيرة ؟ وهل نطلق على من يقوم بهذه العمليات خوارج أو بغاة ؟ وما الواجب على المسلم تجاههم ؟

فأجاب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٨٢) في كتاب الديات، (باب من طلب دم امرئ بغير حق) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٢) في كتاب الأحكام، (باب من شاقّ شقّ الله عليه) .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٨) في كتاب الإمارة، (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كلّ حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) .

(٤) بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً . للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد (١٥ ـ ٣٠) بتصرف .

(٥) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

التفجير والتدمير حرام، بل من الموبقات، نسأل الله السلامة والعافية، وجاء في قتل المسلم من نصوص الكتاب والسنة القطعية ما تقشعر منه الجلود، وتنفر منه النفوس السَّوية، وجاءت الشريعة الإسلامية بحفظ الضرورات الخمس : حفظ النفس، والدين، والعقل، والعِرْض، والمال . ولو لم يكن في الباب إلا قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ . . . الآيات [الفرقان :٦٨ ـ ٦٩] .

وقول النبي ﷺ : «**لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»[1] . أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما بسند صحيح .

لو لم يكن في هذا الباب إلا هذه النصوص لكان هذا كافياً لردع كل من يُقْدِم على هذا الأمر، نسأل الله السلامة والعافية .

وأهل العلم عندهم تفصيل في شأن هؤلاء، فإن اعتنقوا مذهب الخوارج وكفَّروا المسلمين فهم خوارج، وإن لم يكفِّروا المسلمين وكانت لهم شوكة ومنعة فهم بغاة، وإلا فهم قطَّاع طريق، والواجب على المسلم كفّهم عن جريمتهم والسعي في الحيلولة بينهم وبين ما يريدون .

أسأل الله جلَّ وعلا أن يحفظ المسلمين من كل عدو وحاقد، وأن يحفظ لنا ديننا

---

(١) سبق تخريجه .

وأمننا وأعراضنا، وأن يهدي ضالّ المسلمين، وأن يبرم لهذه الأمة أمراً رشداً، يعزّ فيه أهل الطاعة، ويذلّ فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وأن يطهر مجتمعات المسلمين ممّا يغضب الله عزّ وجلّ، وأن يؤمِّن المسلمين في أوطانهم، وأن يصلح أئمتهم وولاة أمورهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق والهدى إنه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .[١]

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور صالح بن غانم السدلان[٢] حفظه الله ـ أستاذ الدراسات العليا بجامعة محمد بن سعود ـ بالرياض،

قال : وإنّ الأخطاء في قضية التكفير والتفسيق في هذا الزمان وفي الأزمان الغابرة، أصبحت أموراً تُسمع، وربّما يكون لها دعاة يحملونها، وربّما يكون لها آثار توجد بين الفينة والفينة، آثار سيئة، آثار تشوّه سمعة الإسلام في نظر غير المسلمين، وتزعج المسلمين، وتُشَوِّشُ عليهم أمنهم وعبادتهم واستقرارهم، وغير ذلك .

وقد حذّر أئمة السلف من هذا الفكر منذ شرارته الأولى، وبيّنوا خطورته، ومن أمثلة ذلك: ما بوّب به البخاري رحمه الله في كتاب استتابة المرتدين من جامعه الصحيح، إذ قال : (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة : ١١٥] .

---

(١) فتاوى الشيخ عبد الكريم الخضير .

(٢) من علماء المدرسة السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهم شرار خلق الله، وقال : (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين). [١]

فضيلة المحدث الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ محدّث الديار اليمنية ـ[٢] رحمه الله :

ومن جهود علماء المدرسة السلفية في محاربة الغلو والتطرف ما قام به محدّث الديار اليمنية فضيلة المحدّث الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، في تحذيره من التكفيريين، فقد جاء في رسالة نصائح وفضائح، بعد إجابته على جملة أسئلة بخصوص التكفيريين، ختمها قائلاً :

وجماعة التكفير أمة ضالّة، فننصح إخواننا في البيضاء، وفي أب، وفي غيرهما، أن يحذروا منهم، وأن يعتبروهم ضلاّلاً بعيدين عن الدين، ويعتبرونهم خطراً على الإسلام والمسلمين، فهم آلة لكل طاعنٍ في الدين، كما أننا ننصحهم أن يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يسألوا أهل الذكر، وإن بقوا على ضلالتهم ولقوا ربّهم على هذه الضلالة فسيندمون . والله المستعان . [٣]

(١) مظاهر الأخطاء في التكفير والتفسيق ـ أسباب ذلك وعلاجه (١٨ ـ ١٩) .

(٢) من علماء ومحدثي المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ اليمن .

(٣) نصائح وفضائح للمحدث الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (١٨٦) .

فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري[١] حفظه الله ـ **المدرس بالمسجد النبوي الشريف** :

قال فضيلته :

إن الاغتيالات والتفجيرات التي تأتي على الصغير والكبير والذكر والأنثى، التي يقوم بها بعض الشباب المسلم في بلاد المسلمين وخارجها، تحت شعار الجهاد وقتال الظَلَمة المحكّمين لغير ما أنزل الله، والمطالبة بتحكيم الإسلام، وإقامة الحكومة المسلمة، كل هذا العمل باطل وفاسد، ولا يصحّ نسبته إلى الإسلام، شرع الله ودينه الحقّ بحال، ولا يحلّ لمسلم إثباته، ولا تأييده ولو بكلمة أو درهم، إن هو إلا من الظلم والشرّ والفساد في الأرض .[٢]

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس[٣] **حفظه الله ـ إمام وخطيب المسجد الحرام ـ مكة المكرمة :**

قال فضيلته في خطبة ألقاها في المسجد الحرام بتاريخ ٥/ ٣/ ١٤٢٤هـ :

علينا جميعاً أن نتنادى، الدعاة والعلماء، أهل الحِسبة والأدباء، أرباب الفكر والأقلام والثقافة والإعلام، إلى الشعور بروح الجسد الواحد، الذي إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى، حماية لسفينة المجتمع من الإغراق بأيدي أقوام سفهت أحلامهم، وارتكست في حمأة التبديع والتفسيق والتكفير أقداحهم .

بل تعدّى الأمر إلى حمل السلاح والتفجير، وسفك الدماء والتدمير، فسفينة الأمة

---

(١) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ نزيل المدينة المنوّرة .

(٢) كيف نعالج واقعنا الأليم، جمع علي أبو لوز (١٠٢) .

(٣) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

كلّها لا ترسو إلا على جودِيِّ الأمن والإيمان، في منأى عن مطرقة الجهل وسندان الهوى .[١]

وقال أيضاً في مقال له :

وبعد أيها المسلمون، فإنَّ الغُيَّر حينما يبينون خطورة المجازفة في التكفير ويذكرون شروط التكفير وضوابطه، فإنّهم يعلنون للعالم بأسره أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما جرى في بلادنا المحروسة، ويجري في بعض بلاد المسلمين من سفك الدماء المعصومة، وإزهاق الأنفس البريئة، وأعمال التفجير، والتدمير، والتخريب،والإفساد، والإرهاب، لهو من الأعمال الإجرامية المحرّمة، ولا يجوز أن يحمل الإسلام وأهله جريرة هذه الأحداث التي هي إفراز فكر تكفيري منحرف، ممّا تأباه الشريعة السمحة، والفطر السليمة، والعقول المستقيمة .

والله المسؤول أن يصلح حال الأمة ويكشف عنها كلّ غمّة، وأن يوفّق الجميع لما يحبّه ويرضاه، ويهديهم لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه، إنّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.[٢]

(١) من خطب الحرمين الشريفين (٤١ ـ ٤٤) . اعتناء علي بن حسن الحلبي ـ طبع غراس للنشر ـ الكويت .

(٢) من مقال له نُشر في مجلة الفرقان الكويتية، عدد (٧٠٥) بعنوان : ضوابط التكفير .

فضيلة الشيخ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله[1] ـ إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف :

قال فضيلته في خطبة ألقاها في المسجد النبوي الشريف بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٤٢٤هـ:

هناك مسائلُ في هذا الدّين، خطيرٌ أمرُها، عظيمٌ شأنها، دقيقٌ فهمُها، هي مزلّة أقدامٍ ومضلّة أفهام .

ومِن أخطر هذه القضايا، قضيّةٌ يتعثّر في ساحتِها مَن ليس بمحقِّقٍ فقيهٍ دقيق، ويتبلّد عندَ تشعُّب طرائقِها مَن ليس بعالمٍ ربّانيّ ضليع .

قضيّة غلا فيها أقوامٌ، وفرّط في فهمِها آخرون .

قضيةٌ لا يهتدِي إلى ما هو الصّواب فيها إلاّ من استنار بهديِ الوحيَين، ونهَج منهجَ الصّحابة والتّابعين .

قضيّةٌ أحكمَ علماء الإسلام المحقِّقون قواعدَها، وأرسَوا أقسامَها وشُعبَها، وأصّلوا أصولَها وضوابطَها، وبيّنوا شروطَها وموانعَها .

تلكم هي قضيّة التّكفير، والحكمِ به على آحادِ المسلمين، أو مجتمعاتِهم .

نَعَم، إنّها قضيّة مهمّة، ومسألةٌ عظيمة، لا يجوز لكلّ أحدٍ اقتحامُها، ولا التنصُّب لها، ذلكم أنّ التّسرع في التكفِير، والوقوعَ فيه، أو الخلطَ في أحكامِه، والكلام عنه بلا ضابطٍ قرآنيّ، ولا فهمٍ محمديّ، ولا إجماع من أهلِ الحلّ والعقد، كلُّ ذلك ينجُم عنه شرور عُظمى، وفتنٌ كبرى .

فكم مِن فتنٍ وقعَت فيها الأمّة الإسلاميّة بسبَب اعتقادٍ خاطئ في تكفير المسلمين ؟! وجرّاءَ الوقوع في هذه القضايا بدونِ إتقانِ العلماء المحقّقين، والالتفاتِ

(١) من علماء المدرسة السلفية في العصر الحديث ـ السعودية .

للإجماع المستَبين .

ما كلُّ مَن طلب المعالي نافذًا فيها ولا كلّ الرّجال فحولاً

إنّ التّسرعَ في التّكفير، والوقوعَ فيه بدون القواعد التي قعّدها العلماء المحقِّقون، وبدون النّظر إلى توفّر الشّروط، وانتفاءِ الموانع المرعيّة في النّصوص وفْقَ فهمٍ لا تلابسه غمّة ولا تعتريه لُبسة، كلّ ذلك خطرٌ عظيم، وشرّ مستبين، عانت الأمّة منه منذ عصرِ الصحابة ﭫ، عانَت منه رزايَا كبرى، ومحناً شتّى .

فحينئذ، حريٌّ بالمسلمين جميعاً أن يدرِكوا الضّررَ الذي يصيب الأمّةَ من التّسارع في تلك القضايا، أو الكلام عليها من كلِّ أحدٍ، ممّا يفرِض على العلماء والدّعاةِ، والمفتين والفقهاء، السّعيَ في بيان الحقّ الذي يرضَى به ربّ العالمين، ويتبيّن معه الحقّ من الباطل، والصّوابُ من الخطأ .

ومِن هنا ـ أمّةَ الإسلام ـ فتجرُّؤ كلِّ أحدٍ على طَرْقِ هذه القضيّة المهمّة، تترتّب عليه عواقب وبِيلة ونتائجُ بشِعة في الدّنيا والآخرة .

يقول القرطبيّ رحمه الله : (وبابُ التّكفير بابٌ خطير، أقدَم عليه كثير من النّاس فسقَطوا، وتوقّف فيه الفحولُ فسلِموا، ولا نعدِل بالسّلامة شيئاً)[1].

(١) من خطب الحرمين الشريفين (٤٦ ـ ٤٨) .

فضيلة الشيخ أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني[1] حفظه الله ـ نزيل مأرب في اليمن :

ومن هذه الجهود، ما قام به أخونا الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، نزيل مأرب في اليمن، فقد صنَّف كتاباً في محاربة الإرهاب سمَّاه : التفجيرات والاغتيالات : الأسباب ـ الآثار ـ العلاج .

وذكر من مفاسد التفجيرات والاغتيالات :

١ـ أن هذه التفجيرات والاغتيالات تُزْهِق أرواح الأبرياء، ومنهم أطفال، وشيوخ، ونساء، وتقتل أنفساً معصومة الدم بالإسلام .

٢ـ أن هذه التفجيرات تهدم البيوت، وتفسد المصالح والمنشآت العامة، وتُهلك أموال المسلمين، وهذا ممّا أُجمع على تحريمه .

٣ـ أن هذه التفجيرات والاغتيالات تقتل عدداً من غير المسلمين المستأمنين في بلاد الإسلام بعهد أمان من وليّ الأمر، سواء كانوا سائحين، أو خبراء في علوم الدنيا التي يحتاج إليها المسلمون، أو كانوا عمالاً، أو نحو ذلك .

٤ـ ومن مفاسدها : إيقاع الوحشة وسوء الظن بين الراعي والرعية، وربما أدّى ذلك إلى فَتْكِ الحكام بالمخالفين وبغيرهم من الأبرياء .

٥ـ أن هذه التفجيرات تزعزع الأمن والاستقرار، وتنزع الطمأنينة والهدوء، وتثير الرعب والفزع بين الناس، ولو استحكمت هذه الفتن، لما حُجَّ البيت العتيق، ولما نُصر مظلوم، ولما أَمِنَ أحد على نفسه وماله وأولاده ونسائه .

٦ـ أن التفجيرات تسلط رجال الأمن على البرّ والفاجر، لأن تمييز هذا من ذاك لا

---

(١) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ اليمن .

يتأتَّى ـ على الوجه المحمود ـ حالة استعار الفتنة وانتشارها .

٧ـ أن هذه التفجيرات تصدّ الناس عن سبيل الله، وتُنفِّر من أراد أن يدخل في الإسلام، وتُضْعِف حجة الدعاة إلى الله تعالى في بلاد الشرق والغرب .

٨ ـ أن هذه التفجيرات يتذرع بها المتربصون بالإسلام وأهله في الداخل والخارج، ويصفون طلاب العلم والمصلحين والمحسنين بأنهم (إرهابيون) ودمَوِيُّون، وأعداء الأمن، وذئاب البشرية، إلى غير ذلك من الافتراءات .

٩ ـ أن هذه التفجيرات جعلت غير المسلمين يُجْلبون بخيلهم ورَجِلهم على الأعمال الخيرية، والجامعات الإسلامية، والمراكز الدعوية والمعاهد الشرعية .

فيا لله، كم من يتيم انقطعت كفالته، وكم من أرملة يبكي حولها صبيانها، وكم من عارٍ لم يجد كسوة يوم العيد، وكم من مسجد لم يتمَّ بناؤه لخوف المحسنين .

١٠ـ أن هذه التفجيرات جلبت الضغوط على المسلمين في كل مكان، ممَّا جعل الكثير من المسلمين يسيئون الظن بدينهم وعلمائهم، بل إن بعض المسلمين يخجل من كونه مسلماً ـ كما في بعض البلدان ـ وانكشف بذلك ضعف المسلمين، وكانوا مستورين مُهابين .

ثم ذكر الأسباب والعلاج، واستعرض شبهات التفجيريين التكفيريين وردَّ عليها .[1]

(١) وقد طبع هذا الكتاب مراراً، وكان ممّن طبعه : جمعية إحياء التراث الإسلامي في دولة الكويت .

فضيلة الداعية الشيخ محمد حسَّان[١] حفظه الله ـ المشرف على قناة الرحمة الفضائية :

قال فضيلة الشيخ محمد حسَّان في حوار أجرته معه مجلة الفرقان الكويتية :

الوسطية هي منهج الإسلام، كما أن أمة النبي ﷺ هي الأمة الوسط بين جميع الأمم، والرسول ﷺ، بيَّن لنا أن الإفراط يساوي التفريط، ونهى عن الغلو بكل أشكاله، وبخاصة الغلو الفكري والسلوكي، وما أروع ما قاله الرسول ﷺ : «**إن الدين يسر ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه**....»[٢]، كما أن الوسطية كانت منهج حياة النبي ﷺ، وكان يدعو بها فيقول في أحد أدعيته : «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شرّ**»[٣] .

ويظهر التشدد والعنف والغلو عندما تغيب الوسطية والاعتدال .[٤]

*****

(١) من علماء المدرسة الإسلامية السلفية في العصر الحديث ـ مصر .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩) في كتاب الإيمان، (باب الدين يسر) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٠) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، (باب التعوذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل).

(٤) مجلة الفرقان الكويتية العدد (٥٠٧) ص (١١).

الخاتمة

لقد عرضت منهج المدرسة السلفية «أهل الحديث والسنة» وتوصلت إلى ما يلي:

١ ـ إن المدرسة السلفية تنتسب إلى السلف الصالح، وهي المدرسة التي أُطلق عليها لقب أهل الحديث لأنهم يعظمون حديث رسول الله ﷺ ، كما أُطلق عليها لقب أهل السنة والجماعة، لأنهم يعملون بالسنة ويجتمعون عليها.

٢ ـ بيّنت المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة في العقيدة، وأن السلف كانوا يهتمون بالتوحيد، وأنه أول دعوة الرسل، كما بيَّنت اهتمام الصحابة وآل بيت رسول الله ﷺ بالتوحيد.

٣ ـ عرضت أهم الأسباب التي أدَّت إلى مخالفة الخلف لمنهج السلف، وذكرت أهم العلماء الذين تراجعوا عن مذهبهم الكلامي بعد أن أصابتهم الحيرة والاضطراب.

٤ ـ بيّنت منهجهم في تلقي الأحكام الشرعية العملية، وأنهم يقدمون الحديث على الرأي والقياس، ولا يعدلون بالسنة قولَ أحدٍ من العلماء، وأن ذلك وصية الفقهاء الأربعة المجتهدين، وهو عمل أتباعهم الأولين.

٥ ـ كما بيّنتُ منهجهم في العبادة، وأنهم يتبعون ولا يبتدعون، عملاً بأمر رسول الله ﷺ بالاتباع، ونهيه عن الابتداع.

٦ ـ عرضت بعضاً من جهود علماء المدرسة الإسلامية السلفية في محاربة الغلو والتطرف ، بياناً للحق ، وتجليةً للحقيقة ، وإظهاراً لما تتمتع به المدرسة الإسلامية السلفية من وسطيةٍ سنيةٍ ، بعيداً عن إفراط الخوارج التكفيريين ، وتفريط المرجئة والمتغربين .

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفَهْـرَسْ

مقدمة ٥
الفصل الأول : التعريف بالاسم والمصطلحات العلمية ٩
المبحث الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي ١٠
المبحث الثاني : ألقاب ذات صلة ١٦
الفصل الثاني : المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة في العقيدة ٢٢
الفصل الثالث : المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة في العبادة ٤٢
تمهيد ٤٣
المبحث الأول : في تلقي العلوم الشرعية ٤٥
المبحث الثاني : في الاتباع وترك الابتداع ٥٧
الفصل الرابع : من جهود علماء المدرسة الإسلامية السلفية في محاربة الغلو والتطرف ٦٤
توطئة ٦٥
ذكر أقوال وفتاوى العلماء في محاربة الغلو والتطرف ٦٧
الخاتمة ١٠١
الفهرس ١٠٢